شَرْحُ أُصُولِ السُّنَّةِ

نبدأ بحول الله وقوته بشرح رسالة صغيرة من حيث الحجم، وكبيرة من حيث المعنى؛ هذه الرسالة للإمام أحمد بن حنبل؛ إمام أهل السنة في زمنه، الذي أجمع أهل السنة على إمامته وفضله ومكانته، ولا يخالف في ذلك سُنِّيٌّ، وثناء العلماء عليه كثير وعظيم، وقد وضع الله سبحانه وتعالى له القَبول في الأرض، وصار عَلَماً على السنة في زمنه وبعد زمنه، وصار إماماً فيها، حتى إن العلماء الكبار كانوا يرجعون إلى قوله ويصدرون عنه كما فعل الطبري رحمه الله وغيره؛ وما ذلك إلا لشهرة الرجل بالعلم والرسوخ، وبالسنة ومحبتها وتعظيمها وتقديمها على كل شيء، ودفاعه عنها، والصبر على ذلك؛ حتى وصل إلى تلك المنزلة التي وصل إليها رحمه الله وغفر له.

هذه رسالة صغيرة كما ذكرنا في الحجم؛ ولكنها كبيرة في المعنى؛ هي رسالة في العقيدة ذكرها الحافظ اللالكائي في كتابه "شرح السنة" أو "شرح اعتقاد أصول أهل السنة والجماعة"؛ ذكرها عن الإمام أحمد بإسناده، وذكر لعلي بن المديني مثلها- تنقص بعض الكلمات وتزيد بعضاً-، ثم طبعت في رسائل مستقلة.

ذكر فيها الإمام أحمد عقيدة أهل السنة والجماعة وبينها لنا؛ حتى نتمسك بها.

قال رحمه الله: **(أُصُولُ السُّنَّةِ عِنْدَنَا: التَّمَسُّكُ بِمَا كَانَ عَلَيْهِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، والاقْتِدَاءُ بِهِمْ)**

قوله: **(عندنا)** أي: عند أهل السنة والجماعة.

ويُعْرَفُ مراد المؤلف من هذه الكلمة عند تَتَبُّعِ نقولاته؛ فتعرف لمن ينسب نفسه؟

مثلاً: الإمام الترمذي والإمام ابن المنذر رحمهما الله يذكران في كتبيهما مثل هذه الكلمة "عندنا" أو "عند أصحابنا" من هم أصحابهم؟

تعرف معنى هذه الكلمة عندما يسمي لك أصحابه، الترمذي يقول: "عند أصحابنا"؛ ثم يذكر مالكاً والشافعي وأحمد وغيرهم؛ مما يدلك أنه لا يعني بأصحابنا: الحنابلة ولا الشافعية ولا المالكية؛ إنما يعني أهل الحديث؛ وأهل الحديث هنا هم الذين يتبعون الكتاب والسنة على منهج السلف الصالح، هذا معنى أهل الحديث، وليس المراد من اشتغل بالحديث تصحيحاً وتضعيفاً ورواية.

وابن المنذر ينسبونه إلى الشافعية ويقولون هو شافعي؛ وهذا خطأ، والذي أوقعهم في هذا الخطأ أنه يرجح في كثير من المسائل الفقهية أقوال الشافعي؛ لكنه لم يكن يفعل ذلك لأنها أقوال الشافعي؛ بل لأنه يرى أنها هي الصواب الذي يوافق الكتاب والسنة؛ فإنك تجده في كتابه الأوسط- مثلاً- يقول: "عند أصحابنا"، ثم بعد ذلك إذا تتبعتهم؛ وجدته يذكر أهل الحديث، ومنهم مالك بن أنس إمام المذهب المالكي، فلو كان شافعياً؛ ما الذي يجعل مالكاً من أصحابه؟ ولكنه يريد أهل الحديث.

بهذا تعرف من يعني المؤلف إذا قال: "عندنا"، أو: "عند أصحابنا" وما شابه.

قال: **(أصول السنة عندنا)** يعني عند أهل السنة والجماعة، عند أصحاب الحديث، عند أتباع السلف الصالح رضي الله عنهم، عند السلف الصالح.

و**الأصول**: جمع أصل؛ وهو في اللغة: ما يُبْنى عليه غيره؛ فهي كالقواعد والأساسات؛ فهذه التي سيذكرها هي قواعد السنة وأساساتها التي تبنى عليها السنة.

ما هي السنة؟

السنة تطلق عند العلماء على عدة معان؛ منها: ما جاء عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خَلقية أو خُلقية؛ فهذا تعريف السنة بمعنى الحديث عند المشتغلين بالحديث.

وتأتي السنة بمعنى الشريعة؛ شريعة الله الكتاب والسنة وكل ما فيهما؛ هي السنة، كما في قول النبي ﷺ: "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ"[1].

"عليكم بسنتي"؛ أي: عليكم بشريعتي؛ تمسكوا بالدين الذي كنت عليه.

فأصول السنة هنا معناها هذا؛ أي: الأركان والأسس والقواعد التي تبنى عليها شريعة الله تبارك وتعالى.

العقيدة هي أصل الدين؛ لأن العقيدة تسبق العمل، والعمل يكون بناءً عليها، فأنت- مثلاً- إذا اعتقدت ربوبية الله وألوهيته وتوحيده في أسمائه وصفاته واعتقدت أن النبي ﷺ مبعوث من عند الله تبارك وتعالى وأن ما جاء به كله حق وصدق واعتقدت وجوب الالتزام بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وآمنت بذلك وصدقت وقبلت وسلمت؛ أدى ذلك منك إلى تصديق النبي ﷺ فيما يخبر به وإلى طاعته فيما يأمر وينهى، فإذاً طاعته فيما يأمر وينهى؛ مبنية على ما تعتقده ناحيته ﷺ؛ فالعقيدة هي الأساس الذي يبنى عليها بقية الدين؛ فهذا معنى: "أصول السنة أركان الشريعة وقواعد الشريعة هذا معنى أصول السنة.

١- أخرجه أحمد (١٧١٤٢)، وأبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢) عن العرباض بن سارية رضي الله عنه.

باختصار: هذه عقيدة أهل السنة والجماعة التي يبنى عليه دين الله بالكامل، التي سيذكرها لنا المؤلف.

وقد ألف أهل السنة في العقيدة كتباً كثيرة ككتاب "السنة" للخلال، وكتب العقيدة تارة يسمونها بالسنة؛ كما هو الحال في كتاب "السنة" للخلال، و"السنة" لعبد الله بن الإمام أحمد، و"شرح السنة" للبربهاري، و"شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة" للالكائي؛ وهكذا، "صريح السنة" للطبري، و"أصول السنة"، كل هذه كتب كانت عند السلف فيسمونها بهذا.

تارة يطلقون السنة ويريدون بها العقيدة نفسها فتجده يؤلف الكتاب ويسميه: "السنة" ويريد بها العقيدة؛ لأنه لا يذكر في هذا الكتاب إلا مباحث العقيدة، وتارةً يطلقون كما أطلق المؤلف هنا؛ قال: "أصول السنة" ويريدون بالسنة: الشريعة؛ فهذه أصولها- يعني العقائد-، وتارةً يسمونها الشريعة، ويريدون العقيدة كما سمى الآجري كتابه "الشريعة"؛ فهي نفسها الشريعة؛ يريد بها أصول الشريعة- يعني العقيدة-، وتارةً يسمون كتبهم التوحيد؛ وكلها يريدون بها العقيدة.

وكما ذكرنا: كتبهم كثيرة؛ كالتي سميناها وهي أنفس كتب تبين لك عقيدة السلف، لكن "شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة" للالكائي، و"الشريعة" للآجري من أنفس الكتب التي تبين عقيدة أهل السنة والجماعة صافية نقية، وكتب السلف كثيرة كما ذكرنا، وكلها نفيسة؛ لكن هذان الكتابان ذكروا فيهما آثاراً عن السلف تبين عقيدة أهل السنة وذكروا الأدلة؛ فهما بحق هما نفيسان.

قول المؤلف رحمه الله: **(أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والاقتداء بهم)؛** هذا الأصل الأول من أصول أهل السنة والجماعة؛ التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ؛ لماذا؟

لأن الله تبارك وتعالى أثنى عليهم ومدحهم في العلم والعمل والتقوى والصلاح؛ فقال: {لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ} [الفتح: ١٨]، رضي الله عنهم؛ لأعمالهم، مما يدل على أن أعمالهم صحيحة وخالصة لله سبحانه وتعالى؛ لأن العمل لا يُقبل إلا بشرطين: الصحة والإخلاص، وقد رضيها الله سبحانه وتعالى؛ إذاً فقد كانت على هذا الوصف.

وقال تعالى: {وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ} [التوبة: ١٠٠]، ماذا حصل معهم؟ {رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ} وماذا فعل؟ {وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ}، هل يعني ذلك أنهم كانوا جهّالاً؟ أبداً؛ بل معناه أنهم كانوا علماء؛ علماء بما يريده الله سبحانه وتعالى، وعلماء بطريق الحق الذي يوصلهم إلى رضا الله سبحانه وتعالى وإلى الجنة، فبما أنهم على هذا الوصف؛ فإننا إذا تمسّكنا بما كانوا عليه نجونا، وإذا خالفنا هلكنا؛ ولذلك أمرنا الله بالاقتداء بهم.

ما معنى أن نقتدي بهم؟

يعني: نتّبعهم على ما كانوا عليه؛ فإذا اعتقدوا علوّ الله على خلقه؛ اعتقدنا ذلك، وإذا اعتقدوا أن الله ينزل إلى السماء الدنيا؛ اعتقدنا ذلك، وإذا اعتقدوا أن الله يسمع؛ اعتقدنا ذلك؛ وهكذا يكون الاقتداء بهم.

وركّزوا على هذه الكلمة جيّداً: ديننا دين اتباع، لا دين اختراع وابتداع، نقتدي بأصحاب النبي ﷺ ونتبعهم، لا نخالفهم؛ لأن الله سبحانه وتعالى قال لنا في كتابه الكريم: {وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ **وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ** بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ} فمن الذي ينجو؟ هو الذي يتّبع المهاجرين والأنصار بإحسان من غير مخالفة؛ إذاً أنت مأمور باتباعهم كي تَسلم وتنجو عند الله تبارك وتعالى.

بل قال ربّنا سبحانه في كتابه: {وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى **وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ** نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا} [النساء: ١١٥]، إذاً هنا يوجد عذاب يترتب على مخالفة سبيل المؤمنين؛ الذين هم الصحابة؛ فهم المؤمنون الذين كانوا عند نزول هذه الآية؛ فنحن مأمورون باتّباعهم.

لذلك قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: "اتّبعوا ولا تبتدعوا فقد كُفيتم"؛ كلمةٌ واضحة ونصيحةٌ عظيمةٌ من هذا الإمام؛ "اتبعوا"؛ اتبعوا مَن؟ اتبعوا النبي ﷺ واتبعوا الصحابة واسلكوا منهجهم الذي أمركم الله سبحانه وتعالى به، "ولا تبتدعوا"؛ لا تخترعوا شيئاً من عندكم في الدين؛ فديننا دين اتباع وتسليم، لا نعارض شرع الله بعقولنا ولا بأهوائنا؛ احذروا من هذا؛ فكلّ من خالف الشرع خالف بسبب أحد هذين أمرين؛ إما اتباعه لعقله، أو لهواه، ولا عذر له- لا والله-؛ لأن الله تبارك وتعالى قد أمره بالاتباع بآيات واضحاتٍ صريحات وبأدلة نيّرة لا خفاء فيها البتة.

فلا يأتيني أحد فيقول: (فلان اجتهد في العقيدة فأخطأ)؛ من قال له أن يجتهد حتى يُخطئ؟! العقيدة لا مجال فيها للاجتهاد؛ أنت مأمور بالاتباع، ليس فقط في العقيدة؛ بل كل ما ورد فيه نص شرعي من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ محكم؛ فلا مجال فيه إلا للاتباع، وإذا اجتهدت؛ فقد خالفت شرع الله باجتهادك هذا.

الاجتهاد للعلماء فقط عندما لا يوجد نص، أما عند وجود النص المحكم؛ فلا مجال للاجتهاد أبداً، المجال مجال تسليم وانقياد واتباع.

رحم الله عائشة رضي الله عنها وأرضاها عندما جاءتها تلك المرأة وقالت لها: "ما بال المرأة تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة؟ - أي: الحائض-؛ قالت عائشة: "أحرورية أنت"[1]؛ يعني: تخالفين شرع الله بهواكِ وبعقلكِ كما تفعل الخوارج؟ فالحرورية هم الخوارج.

لماذا أنكرت عليها هذا الإنكار؟ لأن واجبها في مثل هذا التسليم للنص الذي ورد عن النبي ﷺ.

انظر ماذا قالت المرأة؛ قال: "لا"؛ تبرّأت من هذا، وقالت: "إنما أسأل"، مستفتية فقط؛ فقالت عائشة: "هكذا أمرنا رسول الله ﷺ أن نقضي الصوم ولا نقضي الصلاة"؛ يعني: سَلِّمي؛ هكذا أُمِرنا، انتهى الأمر، لا تبحثي بعد ذلك، جاء الأمر من الله أو من رسوله؛ انتهى؛ إذن التسليم والانقياد، لا تعارضي شرع الله لا بعقلك ولا بهواك؛ هذا معنى الاقتداء بهم.

قال الإمام الأوزاعي إمام أهل الشام في زمنه: "عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس، وإياك وآراء الرجال وإن زخرفوه لك بالقول"؛ هذه نصائح أئمتنا وعلمائنا، ونصائحهم بهذا المعنى كثيرة؛ فضع نُصبَ عينيك هذه القاعدة وامضِ وأنت في خير.

"ديننا دين اتباع لا دين ابتداع"، لا نأتي بشيء جديد، هذه الدروس التي نعطيكم إياها ما عندنا فيها شيء جديد، تأكّدوا من هذا، نحن نأخذ مما كان عليه السلف ونعطي؛ فقط، فنحن بمنزلة البريد الذي يُسمى اليوم بساعي البريد، الذي يأخذ الرسالة

١- أخرجه البخاري (٣٢١)، ومسلم (٣٣٥).

من المكان الذي أُرسلت منه ويرسلها إلى صاحبها فقط، وإياك إياك أن تسمع لأهل البدع الحديثين من المميعة الذين يقولون: لا تكن إمعة، لا تكن مقلّداً، قل لهم: واللهِ لئن أكون إمعة وأكون مقلّداً وأكون ذنَباً أحب إلى مما أنتم عليه، اتباع منهج السلف الصالح رضي الله عنهم ليس تقليداً ولا سذاجة؛ بل هو اتباع لأمر الله تبارك وتعالى، الذي أمرنا باتباعهم؛ فلذلك نتبعهم؛ فهو سبيل المؤمنين، رضي من رضي وسخط من سخط، لا يهمك كلام الناس وإن كثروا؛ كما قال الإمام الأوزاعي: "وإياك وآراء الرجال وإن زخرفوه لك بالقول"؛ مهما لحنوا لك الكلام، يوجد الكثير من أهل البدع عندهم حلاوة لسان وفصاحة في الكلام وطلاقة في اللسان؛ فيفتنك ويسحرك كما قال النبي ﷺ: "إن من البيان لسحراً"[1]؛ يسحر العبد؛ فاحذر أن تسمع لأمثال هؤلاء!

وقد نصحنا بعض الإخوة ألا يذهبوا إلى فلان من الناس، وقلنا: الرجل قد أوتي لساناً يقلب به الحق باطلاً والباطل حقاً؛ فاحذروا، لكنهم ذهبوا وافتُتِنوا، ما سمعوا النصيحة.

وإن كثر هؤلاء؛ فكن حذراً حتى لا يشوّشوا عليك، ديننا دين اتّباع كما قال عبدالله بن مسعود: "اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم"؛ لذلك قال المؤلف بعدها:

(وَتَرْكُ البِدَعِ)

أي: من أصول السنة عندنا: ترك البدع؛ لأن من لم يتبع ابتدع؛ ولا بد، يقول: أريد أن أجتهد، يريد أن يتبع هواه، يريد أن يُعمِل عقله، أيُّ سبيل سلكه بعد ترك الاتباع؛ فهو سبيل الابتداع ولا بد؛ تأكّد من هذا.

١- أخرجه البخاري (٥١٤٦) عن ابن عمر، وأخرجه مسلم (٨٦٩) عن عمار بن ياسر.

ما هي البدع؟

كل عمل شرعي- ديني- سواء كان عقيدة أو قولاً أو عملاً تعبدي لا دليل عليه من الكتاب والسنة ولا كان عليه السلف الصالح رضي الله عنهم؛ فهو بدعة، وإن زعمت أنت باجتهادك أن عليه دليلاً من الكتاب أو من السنة، بما أن السلف لم يكونوا عليه؛ فهو بدعة؛ هذا ما عليه سلفنا الصالح رضي الله عنهم.

وإذا تمكنتم من العلم- إن شاء الله- تقرؤون كلامهم في هذه الكتب التي ذكرناها لكم؛ "الشريعة" للآجري، و"شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة" للالكائي، و"السنة" لعبد الله بن الإمام أحمد، و"السنة" للخلال، وغيرها؛ وستجدون من الآثار ما تطمئن بها القلوب وترتاح.

البدعة: كل ما تتقرب به إلى الله وليس له أصل في الكتاب ولا في السنة ولا كان عليه سلفنا الصالح رضي الله عنهم؛ فهو بدعة.

والبدعة في الدين محرّمة بخلاف أمرها في الدنيا؛ فأمرها في الدنيا سهل، لكنها في الدين محرّمة، وهي ضلال كما قال عليه الصلاة والسلام، وكما قال المؤلف:

(وَكُلُّ بِدْعَةٍ؛ فَهِيَ ضَلَالَةٌ)

لقول النبي ﷺ: "كل محدثة- يعني: في الدين- بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار"[1].

١- أخرجه مسلم(٨٦٧) من حديث جابر، بلفظ: "وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ"، وزاد النسائي (١٥٧٨): "وكل ضلالة في النار"، وأخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، وغيره من حديث العرباض بن سارية، بلفظ: " وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ ".

قوله: **(وكل بِدعَة فَهِيَ ضَلَالَة)** كما قال عليه الصلاة والسلام: "كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالةٍ في النار"؛ أي: صاحب الضلالة في النار، فالبدعة كبيرة، وخطرها عظيم على الإسلام والمسلمين؛ فهي تضل العباد عن طاعة الله سبحانه وتعالى، وتتدرج بهم إلى أن توقعهم فيما هو أعظم من الفسق والفجور؛ إلى الكفر، انظروا إلى بدعة الروافض وبدعة الصوفية، وانظروا إلى تاريخهم كيف بدأ؛ بدأت البدعة خفيفة، ثم غلظت، حتى وصل بهم الحال إلى اختراع دينٍ جديد، انظروا إلى دينهم! دين جديد، لم يعد فيه مما كان عليه السلف رضي الله عنهم إلا الشيء اليسير جداً ولا يكاد يُذكر- دين الرافضة ودين الصوفية-؛ فصار ديناً مستقلاً، هذه ديانة وهذه ديانة أُخرى، من أين جاءت؟ من بدع صغيرة، الرافضة تشيعوا بدايةً لعلي، ثم بعد ذلك تطور بهم الحال حتى أبغضوا الصحابة رضي الله عنهم وكفَّروهم إلى أن وصلوا إلى الحال الذي هم عليه الآن.

كذلك الصوفية بدؤوا في بداية أمرهم بالزيادة في الزهد والتَّقشف وترك الدنيا، وغلوا في ذلك؛ حتى وصل بهم الحال إلى ما ترونه اليوم؛ هذا سوء البدع؛ لذلك قال علماؤنا: "البدعة بريد الكفر"؛ يعني: أنها توصل إلى الكفر؛ هذه خطورة البدعة على المسلمين.

أمّا خطورتها على الإسلام؛ فهي تغيره وتبدله وتحدث ديناً جديداً، وتضيع دين الله من بين الناس؛ لذلك كان خطرها عظيماً وعظيماً جداً، أعظم من المعصية، المعصية يرتكبها العبد وهو يعلم أنها محرَّمة، فإذا شاء الله سبحانه وتعالى أن يتوب عليه؛ يتركها مباشرةً ويمضي؛ لأنها ليست ديانة ولا عقيدة عنده، بخلاف البدعة؛ فالبدعة خطرها أعظم.

عندنا هاهنا المميعة عكسوا؛ صارت عندهم المعصية أعظم من البدعة، والبدعة لا يرفعون بإنكارها رأساً، والمبتدع عندهم أخوهم وصاحبهم وجليسهم، والسني عندهم عدوٌ لهم مُحارَب؛ هذا الواقع الذي نعيش فيه عندنا في هذه البلاد.

هذا أصل عظيم قرَّره المؤلف رحمه الله؛ فيجب حفظه والتقيُّد به، والتمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والاقتداء بهم كما أمر الله سبحانه وتعالى، وترك البدع المحدثات في الدين، وكل بدعة فهي ضلالة.

باختصار: ديننا مبني على الاتباع لا على الابتداع؛ كما قال عبد الله بن مسعود، واحفظوا هذا الأثر جيداً: "اتَّبعوا ولا تبتعدوا فقد كفيتم"؛ فديننا دين اتباع؛ نقرأ ونتعلم ما كان عليه أصحاب النبي ﷺ وما كان عليه سلفنا الصالح ونتَّبع فقط ونسلِّم وننقاد ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا وإياكم إلى ذلك.

إذن فهذا الأصل الأول؛ وهو: **التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ، والاقتداء بهم، وترك البدع، وكل بدعة فهي ضلالة.**

ثم الأصل الثاني الذي يضعه علماء السنة في أصول السنة، وهو عندهم أصل أصيل يجب التقيد به؛ وهو ما سيذكره المؤلف رحمه الله.

قال رحمه الله: **(وَتَرْكُ الخُصُومَاتِ والجُلوسِ مَعَ أَصْحَابِ الأَهْوَاءِ، وَتَرْكُ المِرَاءِ والجِدَالِ والخُصُوماتِ في الدِّينِ)**

مجالسة أهل البدع ومناظرتهم هذا هو موضوعنا، وقد نهى السلف عن مجالستهم أشد النهي، وكذلك مناظرتهم والحديث معهم في شبهاتهم؛ كل هذا نهى عنه السلف وشددوا فيه؛ وذلك لأن هذا الفعل- وهو مناظرتهم ومجادلتهم ومجالستهم ومخاصمتهم- يؤدي إلى إلقاء الشبه عليك وتعريضك قلبك للشبهات، والقلوب ضعيفة والشبه

خَطَّافة كما قال السلف رضي الله عنهم، وقال النبي صلى الله عليه وسلم:"قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء"[1]؛ فهذه القلوب ضعيفة تتقلب، فربما يلقي عليك المبتدع شبهة لا تستطيع ردها، فيتلقفها قلبك ويتشَرَّبها؛ فتهلك؛ هذا السبب الذي لأجله حذر السلف من مجالسة أهل البدع ومن مناظرتهم ومخاصمتهم والمراء معهم.

سبب آخر: أن مجالستك لهم تُغرر الناس بهم وتخدعهم؛ فإذا رآك الناس تجالس المبتدع؛ ظنوا به خيراً؛ خاصة إذا كان لك مكانة في نفوسهم واحترام، فيظنون به خيراً فيأخذون عنه فيهلكون، كما حصل مع الهروي لما رأى الدارقطني يقبل رأس الباقلاني- وكان أشعرياً-، والدارقطني إمام؛ فلما رآه الهروي يفعل هذا؛ تبع ذاك الأشعري، وهذا الاغترار قد حصل أيضاً مع عبد الرزاق الصنعاني وهو من هو في العلم؛ لكن لا يوجد حصانة لأحد من الشبهات بعد الأنبياء والرسل الذين عصمهم الله.

وقد حث السلف الصالح رضي الله عنهم المسلمين على هجر أهل البدع ومفاصلتهم من أجل حماية أنفسهم من الضلال، وعبد الرزاق الصنعاني جالس جعفر بن سليمان الضبعي؛ فأخذ عنه التشيّع، لذلك لما سأله يحيى بن معين: شيوخك أصحاب سنة- يعني: يعرفهم- فمن أين جاءك هذا التشيّع الذي دخل عليك؟ قال: من جعفر بن سليمان الضبعي، اغتررت بهديه وسمته.

الله أكبر! انظر بارك الله فيك، هذا يفيدك فائدتين:

الأولى: نتيجة مجالسة أهل البدع.

١- أخرجه مسلم (٢٦٥٤) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه بلفظ: «إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ».

الثانية: عدم الاغترار بالهَدْيِ والسمت؛ يعني: لا تنخدع بمنظره، تجده خاشعاً، خاضعاً، متذللاً، عابداً، زاهداً، لا تنخدع بهذا.

والغريب أن عبد الرزاق الصنعاني محدِّث! يعني كان ينبغي أن يكون قد مر عليه حديث الخوارج الذي ذكره النبي ﷺ؛ قال: "يحقر أحدكم صلاته إلى صلاتهم، وصيامه إلى صيامهم، وقراءته إلى قراءتهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية" إلى أن قال: "لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد"[1]، ماذا نفعتهم شدة العبادة وشدة التزهد؟ لم تنفعهم مع الضلالة التي كانوا عليها.

إذاً النبي ﷺ لماذا قال: "يحقر أحدكم صلاته إلى صلاتهم، وصيامه إلى صيامهم، وقراءته إلى قراءتهم..."؛ كان محذّراً لنا أن نقع في شراكهم بسبب ما نرى عندهم من زهديات.

فتستغرب كيف أن عبد الرزاق يغتر بهديه وسمته بعد قراءته لهذا الحديث ومروره عليه! الأمر غريب لكن هذا الذي حصل؛ من هنا شدد السلف رضي الله عنهم في مجالسة أصحاب الأهواء، ومخاصمتهم والمراء معهم والمناظرات، كل هذا مشَدَّد فيه عندنا، أنت عندما تناظره تحتاج أن تجالسه وتسمع منه؛ فتعرض قلبك للشبهات.

قوله: **(ترك الخصومات)** المخاصمة والمجادلة والمراء بمعنى واحد؛ قريب بعضها من بعض، والمقصود من ذلك: المناظرة كي تغلب الذي تخاصمه بالحجة، وتصحح قولك على قوله، المراء والخصومة والمناظرة والمنازعة؛ كل هذا منهي عنه.

نذكر لكم بعض الآثار التي جاءت عن السلف حتى تعلموا أن هذا الأصل أصل واحد عند السف رضي الله عنهم؛ متفق عليه بينهم، ليس بينهم خلاف فيه؛ إنما نشر الخلاف، ونشر هذا الأمر- وهو مجادلة أهل البدع ومجالستهم- نشره المُمَيِّعة في هذا

١- أخرجه البخاري (٣٦١٠، ٣٣٤٤)، ومسلم (١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

الزمن؛ ركَّزوا عليه وأكثروا منه حتى وقعوا هم في البدعة والضلالة، وهذا كان أحد أقوى الأسباب التي أوقعتهم في الضلال؛ فقد فتحوا هذا الباب على مصراعيه وخالفوا هذا الأصل السلفي؛ فوقعوا في البدع والضلالات.

بل رأيت- والله- أن أقل واحد ممن خالف هذا الأصل، أقل شخص فيهم بدعة وضلالة؛ يحبهم ويدافع عنهم ويأبى الكلام فيهم، هذا أحسنهم حالاً؛ هذه نتيجة من يخالف الأصول السلفية.

وسنذكر بعض ما جاء من الآثار عن السلف، وقد ذكر الآجري رحمه الله في كتابه "الشريعة" مجموعة من الآثار الثابتة بالأسانيد الصحيحة؛ سنذكر بعضاً منها إن شاء الله.

نقل الآجري رحمه الله في كتابه "الشريعة"[1] بإسناده عن مسلم بن يسار البصري- ويقال له: سُكَّرة، وكان ثقة عابداً فاضلاً تابعيّاً جليلاً من الذين أخذوا على أصحاب النبي ﷺ- كان يقول: "إياكم والمراء": يعني احذروا مناظرة ومجادلة أهل البدع، قال: "فإنها ساعة جهل العالِم، وبها يبتغي الشيطان زلّته" ساعة جهل العالم؛ يعني: يجهل العالم لحظة المناظرة، فإنه يحتاج أن يقوي قوله؛ فيقع في الزلل، والشيطان يتربّص زلّته.

وأخرج الآجري أيضاً[2] بإسناده الصحيح عن أبي قلابة- وهو: عبدالله بن زيد الجرمي، تابعي أخذ عن أصحاب النبي ﷺ-؛ قال: "لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم؛ فإني لا آمن أن يغمسوكم في الضلالة، أو يلبسوا عليكم في الدين بعض ما لُبِّسَ عليهم".

١- (١١٢).

٢- (١١٤).

(لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم) لا هذا ولا هذا؛ فنهوا عن مجالسة أهل البدع وعن مجادلتهم ومناظرتهم حتى لا تعرض قلبك لشبهاتهم؛ فتهلك كما هلك من هلك،

قال: **(فإني لا آمن أن يغمسوكم في الضلالة)** لا آمن: يعني أخاف أن يضلوكم بشبهاتهم؛ فتضيعوا في البدع وتأخذوا عنهم الضلال.

(أو يلبّسوا عليكم في الدين بعض ما لُبِّس عليهم) أي: يخلطوا عليكم أمر دينكم، فيلتبس عندكم الحق بالباطل؛ فلا تميّزوا بين الحق والباطل.

هذا هو الأصل السلفي، ونحن لا ننقل عن واحد أو اثنين من السلف في ذلك؛ بل جميع السلف على هذا، وكلامهم كثير، ونقل الاتفاق عليه غير واحد.

المبتدع اليوم ماذا يقول لك؟

يقول: خذ الحق من أي أحد؛ يعني: جالس أيَّ أحد، وخذ الحق من أيِّ أحدٍ.

هذا مخالف للأصل السلفي؛ هذه بدعة جديدة تولّى كِبرَها المميّعة، ودعوا إليها، وحاربوا من خالفها؛ هذا واقعنا اليوم، أنا أتحدث معكم عن واقع نعيشه؛ خالفوا هذا الأصل السلفي، وضلّلوا من حولهم بهذا؛ وهم الآن يجالسون أهل البدع ويأخذون عنهم ويحبّونهم ويوالونهم ويعادون من يتكلّم فيهم- هذا الواقع الذي نعيشه-، ثم يسمي نفسه (سلفي)، لا والله ما أنت بسلفي على هذه الأصول التي أنت عليها؛ بل أنت خلَفيّ، كيف تكون سلفياً وأنت تخالف الأصول السلفية؟! هذا ضلالٌ أيُّا ضلال.

وأخرج أيضاً الآجري[1] بسنده الصحيح عن عمر بن عبدالعزيز- الأمير المعروف تابعي فاضل عابد زاهد عالم-؛ قال: "من جعل دينه غرضاً للخصومات أكثر التنقّل".

١- (١١٦).

(غرضاً للخصومات) يعني: أن تجعل دينك في مرمى الخصومات، والخصومات هذه كالسهام تُرمَى على دينك؛ هذا معنى التشبيه الذي ذكره، فأنت تعرّض دينك للشبه بالمناظرات مع أهل البدع، فمن فعل ذلك؛ **(أكثر التنقل)**؛ فتجده كل يوم على دين؛ فهو يوم قدري، ويوم خارجي، ويوم مرجئ، ويوم جبري، ويوم شيعي رافضي، ويوم ناصبي؛ وهكذا.

لماذا؟ لأنه يخاصم ويجادل، فكلما غلبه أحد؛ انتقل إلى دينه؛ فأي دينٍ هذا؟!

لذلك اسمعوا ما قاله الإمام مالك رحمه الله:

قال معن بن عيسى [1]: انصرف مالك بن أنس يوماً من المسجد وهو متكئ على يدي، فلحقه رجل يقال له أبو الجويرية كان يُتَّهَمُ بالإرجاء؛ فقال: "يا أبا عبدالله! اسمع مني شيئاً"- يقول لمالك بن أنس: يا عبدالله اسمع مني شيئاً- "أكلّمك به وأحاجّك وأخبرك برأيي"- أكلمك به وأحاجك؛ يعني: أقيم حجتي عليك وأناظرك،"وأخبرك برأيي" يخبره برأيه؛ بعقيدته الفاسدة، اسمع لجواب الإمام مالك!-

قال: "فإن غلبْتَني؟" يعني: ناظرتك، جادلتك، خاصمتك، ثم بعد ذلك تَغَلَّبْتَ عَلَيَّ؛ ماذا يحصل بعد ذلك؟ قال: "إن غلبتك اتبعتني"، قال: "فإن جاء رجل آخر فكلَّمَنا فغلَبَنا؟" أي: غلبتني واتبعتك، ثم جاء ثالث وغلبنا؛ ماذا نفعل؟ قال: "نتّبعه"، انظر! يريده أن يتنقل معه من بدعة إلى بدعة، فقال مالك رحمه الله تعالى: "يا عبدالله! بعث الله عز وجل محمداً ﷺ بدين واحد، وأراك تنتقل من دين إلى دين! قال عمر بن عبد العزيز: من جعل دينه غرضاً للخصومات؛ أكثر التنقل". انتهى، هكذا كان جواب السلف رضي الله عنهم؛ يعني: أنت تنتقل من باطل إلى باطل، والدين الذي أنزل

١- "الشريعة" للآجري (١١٧).

على محمد ﷺ الذي بُعِث به واحد.
زد على ذلك أن الحق لا يعرف بالغلبة في المناظرة، فربما يكون المناظر صاحب حق ولكنه ضعيف في إظهار الحجة فيُغلب، فلا يعني هذا أن ما ناظر عليه باطل.
الحق يعرف بما كان عليه السلف رضي الله عنهم وأنت مأمور باتباعهم فقط ولست مأمورا باتباع من غلب.

وأخرج أيضاً الآجري رحمه الله[1] عن سلام بن أبي مطيع؛ قال: "إن رجلاً من أصحاب الأهواء قال لأيوب السختياني- هو: أيوب بن أبي تميم السختياني رحمه الله أحد التابعين الأفاضل-؛ قال له: "يا أبا بكر ! أسألك عن كلمة"؛ قال: فولّى أيوب، وجعل يشير بإصبعه: ولا نصف كلمة، ولا نصف كلمة"؛ جاء هذا الرجل من أصحاب الأهواء يريد أن يسأل سؤالاً فقط؛ فولى أيوب- هرب- وجعل يشير بأصبعه: "ولا نصف كلمة" الله أكبر! انظر إلى هؤلاء الذين عندهم من الورع والدين ما يمنعهم من تعريض دينهم للخطر؛ بمجادلة أهل البدع.

ثم أخرج[2] أيضاً عن سعيد بن عامر؛ قال: "سمعت جدّي إسماعيل بن خارجة يحدّث قال: دخل رجلان على محمد بن سيرين من أهل الأهواء؛ فقالا" "يا أبا بكر! نحدثك بحديث"، قال: "لا"، قالا: "فنقرأ عليك آية من كتاب الله عز وجل" انظر! آية من القرآن، قال: "لا"؛ يعني: حتى آية من القرآن لا يريد أن يسمع منهم؛ من أهل البدع؛ لماذا؟ لأنه يخشى عند قراءة الآية أن يقرؤوا من المتشابه الذي يقوّي بدعتهم، ويستدلون به عليها؛ فيقع في قلبه شيء؛ فأغلق هذا الباب تماماً، ثم قال: "لا لتقومُنَّ عني أو لأقومَنَّ" إما أن تقوموا أنتم أو أقوم أنا؛ لا نجلس مع بعض في مجلس واحد.

١- "الشريعة" (١٢٠).
٢- الآجري (١٢١).

وفي رواية في شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي: قال: «تقومان عني وإلا قمت». فقام الرجلان فخرجا، فقال بعض القوم: " ما كان عليك أن يقرأ آية؟ قال: إني كرهت أن يقرآ آية فيحرفاها فيقر ذلك في قلبي". انتهى

وأخرج أيضاً[1]: "عن مروان بن شجاع؛ قال: سمعت عبد الكريم الجزري يقول: ما خاصم ورع قط في الدين".

انظر إلى هذا الكلام؛ عندما تجد شخصاً يخاصم؛ فاعلم أنه قد فقد الورع الذي يدفعه إلى الخوف على دينه من الشبهات- شبهات أهل البدع-.

وقال سُفْيَانُ: عَنْ عَمْرٍو- يَعْنِي ابْنَ قَيْسٍ-؛ قَالَ: قُلْتُ لِلْحَكَمِ- وهو الحكم بن عتيبة أبو محمد الكندي الكوفي تابعي فقيه-؛ "قال: مَا اضْطَرَّ النَّاسَ إِلَى الْأَهْوَاءِ؟"؛ عمرو بن قيس يسأل الحكم بن عتيبة: "ما اضطر الناس إلى الأهواء؟"؛ ما الذي أوقعهم في الأهواء ودفعهم إليها؛ "قال: الخصومات"[2].

رحمهم الله- أي والله- وجزاهم عنا خيراً، لقد نصحوا بحق، هذا واقع نعيشه، وقع بعض الناس الذين كانوا يزعمون السنة والسلفية؛ وقعوا في البدعة وصاروا من المنافحين عن أهلها، ومن المحاربين لأهل السنة بهذا الأمر، كانوا يجادلون أهل البدع ويناظرونهم ويجالسونهم؛ فوقعوا في هذا؛ واقع نراه.

١- (١٢٣).

٢- "الشريعة" للآجري (١٢٤).

وأخرج أيضاً الآجري[1] بسنده الصحيح عن الْعَبَّاسُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ مَزْيَدٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبِي قَالَ: سَمِعْتُ الْأَوْزَاعِيَّ يَقُولُ: عليك بآثار من سلف؛ وإن رفضك الناس، وإياك وآراء الرجال؛ وإن زخرفوا لك القول".

الأوزاعي إمام أهل الشام في زمنه، قبل الإمام الشافعي، فقبل أن ينتشر المذهب الشافعي في بلاد الشام، كان مذهب الأوزاعي هو السائد، وكان إماماً رحمه الله عظيماً في السنة والثبات عليها، وفي الفقه؛ قال: "عليك بآثار من سلف" يعني: الزم طريق السلف واحذر من مخالفتها "وإن رفضك الناس" كحال اليوم، الذي يسلك طريق السلف مرفوض؛ لأنه مخالف لأهواء الناس؛ لكن مع ذلك وإن رفضك الناس؛ فاثبت واصبر، فالعاقبة لك إن شاء الله، "وإياك وآراء الرجال"؛ هذا الشاهد هنا: احذر من آراء الرجال، اختراعاتهم وإحداثهم أفكار جديدة في دين الله، ابتعد عنها، انظر ما كان عليه سلفك الصالح رضي الله عنهم وتمسك به، وشدّ به يدك، وثبّت نفسك عليه، وادع الله أن يثبتك إلى أن تلقاه، ونسأل الله الثبات لنا ولكم على ذلك.

قال: "وإن زخرفوه لك بالقول"؛ يعني: إن زخرفوا وزينوا لك آراءهم بالأقوال، باللسان، عندما يكون الشخص فصيح اللسان حلوه؛ يكون لسانه ساحراً ، فإن سحرك بلسانه وزيَّن قوله؛ فاحذر منه، ولا طريق إلى ذلك أفضل من أن لا تسمع له، وأن لا تجالسه، وأن لا تأخذ عنه.

هذه بعض الآثار التي ذكرها الآجري رحمه الله بعد أن أصّل هذا الأصل في باب مستقل.

١- في الشريعة (١/ ٤٤٥).

قال عيسى بن يونس رحمه الله[1]: "لا تجالسوا الجهمية، وبيّنوا للناس أمرهم كي يعرفوهم فيحذروهم"؛ هذه طريقة السلف؛ ليس عندنا شيء اسمه مناظرات ومخاصمات ومجادلة، إنما عندنا أن نبيّن للناس حقيقتهم، وأن نرد شبهاتهم بعيداً عنهم، هذا ما كان عليه سلفنا الصالح رضي الله عنهم.

جاء رجل إلى عبدالرحمن بن مهدي- وعبد الرحمن بن مهدي إمام علم من أئمة أهل الحديث، من أئمة أهل السنة-؛ جاء هذا الرجل إلى عبد الرحمن بن مهدي؛ فقال له عبد الرحمن: "بلغني أنك تخاصم في الدين، فقال الرجل: إنا نضع عليهم لنحاججهم بها، فقال عبد الرحمن: أتدفع الباطل بالباطل، إنما تدفع كلاماً بكلام"[2]، إنما تدفع كلاماً بكلام؛ فدعك من هذا، الرد على أهل البدع يكون بقال الله وقال رسول الله ﷺ وانتهى الأمر، ودعك منهم بعد ذلك، بيّن للناس الحق بهذا؛ قال الله، قال رسول الله، قال سلفنا الصالح: كذا وكذا، وانتهى الأمر؛ هذه طريقة الرد السليمة البعيدة عن الشبهات، وتعريض القلب للشبهات.

ويُسْتَدَلُّ على هذا الأصل في الكتاب والسنة، بقول الله تبارك وتعالى: {وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ} [الأنعام: ٦٨]؛ فلا تقعد معهم؛ لأن هؤلاء يخوضون في كتاب الله ولا ينتهون، فتحذرهم.

وجاء في الحديث: أن النبي ﷺ قال: "إذا رأيتم الذين يتَّبِعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمَّى الله فاحذروهم"[3]، ما معنى: احذروهم؟ هل معناها: تجالسهم، وتسمع منهم؟! بل معناها: ابتعد عنهم، وفر بدينك، ولا تسمع منهم.

١- أخرجه الدارمي في رده على المريسي (١/٥٣٧).

٢- أخرجه الهروي في ذم الكلام (٤/ ٢٢٥، رقم ١٠٣٥، مكتبة الغرباء الأثرية).

٣- أخرجه مسلم (٢٦٦٥) عن عائشة رضي الله عنها.

وجاء في الحديث أيضاً في قصة الدجال: "أن النبي ﷺ قال: "من سمع بالدجال؛ فلينأ عنه"[1]؛ يعني: يفر منه؛ فإن معه شبهات.

وبمعنى الحديث: يأتيه الرجل ويظن أنه قادر على صدّه وعلى شبهاته فيغويه ويضله[2]، هذا حديث واضح ودلالته قوية على ذلك.

وفي النهاية أقول لكم: السلامة لا يَعْدِلُها شيء، وإياك أن يلبس عليك المميعة ومن شاكلهم بأنواع الشبهات التي يتعلقون بها، كأن يقول لك مثلاً: ابن تيمية كان يناظر المبتدعة، والله عز وجل يقول: {وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} [النحل: ١٢٥].

والصحيح: أن هذه حالات خاصة؛ ذكرها الآجري رحمه الله في كتاب "الشريعة"، وبيّن متى تكون وكيف تكون.

وباختصار: هي فقط للذين علمنا منهم أنهم يريدون الحق وقد التبس عليهم الأمر، هذا أمر.

الأمر الثاني: يكون هذا الأمر من عالم متمكّن راسخ؛ عندئذ نقول: لا بأس أن تكلم هذا المسكين كي يرجع إلى دين الله، أما أن تناظر رؤوس أهل البدع فلا، ابن تيمية رحمه الله واقعه الذي كان فيه يختلف عن واقعنا، كان الحق في وقته مطموساً لا يعلمه الناس، ولا يعرفون إلا البدع والضلالات أنها هي الحق وهي دين الله؛ فاحتاج أن يناظر هؤلاء أمام الناس حتى يظهر زيف قولهم وباطلهم، وكان رجلاً راسخاً في العلم قوياً ثابتاً؛ لأنه إذا لم يكن كذلك وناظر أهل البدع؛ يُظهر السنة ضعيفة أمام الناس.

١- أخرجه أحمد (١٩٨٧٥)، وأبو داود (٤٣١٩) عن عمران بن حصين رضي الله عنه.

٢- هو نفسه الحديث السابق؛ قال فيه: "فَإِنَّ الرَّجُلَ يَأْتِيهِ وَهُوَ يَحْسِبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ، فَلَا يَزَالُ بِهِ لِمَا مَعَهُ مِنَ الشُّبَهِ حَتَّى يَتَّبِعَهُ".

على كل حال؛ هذا الأمر خاص بصورة معينة ضيّقة؛ ذكرها الآجري رحمه الله ولها ظروف خاصة، فلا تؤخذ بشكل عام كما يفعله المبتدعة والمميعة ومن شاكلهم، عندنا الأصل الثابت هذا، والسلامة في الدين لا يعدلها شيء.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا وإياكم لطاعته، وأن يثبّتنا على سنة نبيه ﷺ وعلى شريعته ودينه. والله أعلم[1].

قال المؤلف رحمه الله: **(والسُّنَّةُ عِنْدَنا: آثارُ رَسُولِ اللهِ ﷺ)**

(السنة آثار رسول الله ﷺ)؛ يعني: الشريعة والدين يؤخذ من آثار رسول الله ﷺ؛ يعني: من أقواله وأفعاله وتقريراته كما هو مقرر في علوم الشريعة؛ فتتبيَّنُ بذلك مكانة السنة- التي هي أحاديث رسول الله ﷺ- عند السّنّيّ.

مكانة القرآن محفوظة عندهم ومعلومة، وحتى المبتدع لا يجادل فيها؛ إنما ظهرت طائفة تنكر السنة أو تحرف السنة أو تتلاعب بالسنة، وحذّر النبي ﷺ من هذا النوع من الناس قديماً؛ فقال: "لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ مُتَّكِئًا عَلَى أَرِيكَتِهِ يَأْتِيهِ أَمْرٌ مِمَّا أَمَرْتُ بِهِ أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ، فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، مَا وَجَدْنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ اتَّبَعْنَاهُ"[2]؛ أخذنا به، وقال عليه الصلاة والسلام: "ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه"[3]؛ منبّهاً بذلك على مكانة سنته ﷺ، وعلى أنها مثل القرآن في التحليل والتحريم والأخبار الصادقة، ولا ينكر ذلك

١- في ترتيب الشرح تقديم وتأخير ليس في الصوتية، ننبه على هذا لئلا يضطرب الطالب إذا سمع الصوتيات ووجدها تختلف عن التفريغ.

٢- أخرجه أحمد (٢٣٨٦١) ، وأبو داود (٤٦٠٥)، والترمذي (٢٦٦٣)، وابن ماجه (١٣) عن أبي رافع رضي الله عنه.

٣- أخرجه أحمد (١٧١٧٤) ، وأبو داود (٤٦٠٤) عن المقدام بن معدي كرب. راجع

مسلم؛ هذه عقيدة أهل السنة والجماعة: السنة عندنا آثار رسول الله ﷺ، الشريعة عندنا تؤخذ من كتاب الله ومن سنة النبي ﷺ.

قال: **(والسَّنَّةُ تُفَسِّرُ القُرْآنَ، وَهِيَ دَلائِلُ القُرْآنِ)**

قوله: **(والسنة تفسر القرآن)**؛ يعني: لا تتمسّك بالقرآن فقط وتترك السنة؛ لا ينفعك هذا؛ فالسنة تفسّر القرآن؛ تشرح معانيه وتبيّن المقصود منه؛ هذا معنى أنها تفسّر القرآن، قال الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ} [النحل: ٤٤]، ولقد كان عليه الصلاة والسلام يبيّن للناس معاني كتاب الله تبارك وتعالى ويفسّر لهم؛ لذلك أنت إذا نظرت في كتب السنة كصحيح البخاري وصحيح مسلم وسنن أبي داود وغيرها؛ تجد فيها كتاب التفسير؛ يفسر القرآن بأحاديث صحيحة، تفسير القرآن كان بقول النبي ﷺ وبفعله وبإقراره؛ كان يفسّر لنا كتاب ربنا تبارك وتعالى.

قوله: **(وهي دلائل القرآن)** يعني: هي أدلة تدل على الأحكام التي في كتاب الله، فإذا جاءنا خبر مجمل فسّرَتْه، وإذا جاء خبر مطلق قيَّدَتْهُ، وإذا جاء خبر عام خصَّصَتْه؛ وهكذا، كما في قول الله تبارك وتعالى: {وأقيموا الصلاة} هذه آية في كتاب الله، يُقال للذي لا يأخذ بالسنة، ويدعي أنه يأخذ بالقرآن فقط: كيف ستقيم الصلاة وتعمل بهذه الآية؟ لا يمكنك إلا بالرجوع إلى السنة، كيف نقيم الصلاة؟ كيف علِمنا أن الصلوات خمس وأن أوقاتها من كذا إلى كذا؟ كيف علمنا أركانها وشروطها؟ كيف علمنا ذلك؟ علمناه بالسنة، الزكاة والصيام والحج... إلى آخره؛ كيف علمنا ذلك كله؟ بسنة النبي ﷺ؛ إذاً فواجبنا الأخذ بسنة النبي ﷺ كما قال الله في كتابه: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا} [الحشر: ٧]، وقال: {أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ}، وقال: {فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ} [النساء: ٥٩]،

قال السلف الصالح رضي الله عنهم: "ردّه إلى الله: إلى كتابه، وردّه إلى الرسول في حياته، وبعد مماته إلى سنته ﷺ".

والأدلة على وجوب الالتزام بسنة رسول الله ﷺ في الكتاب والسنة كثيرة، ومن أنكر سنة النبي ﷺ؛ فهو كافر خارج من ملة الإسلام؛ جمع في ذلك السيوطي رحمه الله رسالةً في بيان كفر من أنكر السنة، وقال نعيم بن حماد الخزاعي رحمه الله[1]: "من ترك حديثاً معروفاً فلم يعمل به وأراد له علّة أن يَطْرحه؛ فهو مبتدع"؛ مبتدع من ترك حديثاً معروفاً؛ أي: حديثاً محكماً، معروفاً بصحته، معروفاً بقوة دلالته، من تركه وحاول أن يضعّفه من أحل أن يتخلص منه إما بتضعيف إسناده أو بتعليل متنه؛ فهو مبتدع؛ هذا هو موقف السلف من سنة النبي ﷺ.

قال: **(وَلَيْسَ فِي السُّنَّةِ قِيَاسٌ)**

المراد بالقياس هنا: القياس العقلي؛ وهو أن تجعل شيئاً مثل شيء آخر وتعطيه نفس الحكم، وتعريفه عند الأصوليّين: إلحاق فرع بأصل في حكم بعلة جامعة بينهما؛ هذا معنى القياس؛ يعني: كأن أقول لك: لحم الإبل ينقض الوضوء؛ فتأتي وتعترض وتقول: لحم الإبل كلحم البقر ولحم الغنم وما شابه، فإذا كان لحم البقر والغنم لا ينقض الوضوء؛ إذن فلحم الإبل لا ينقض الوضوء.

انظر القياس العقلي! هكذا يكون قياس عقلي تُرَدُّ به السنة، إذا جاءت السنة؛ فعند أهل السنة: لا قياس، لا عقل؛ لأن أول من ردّ النص الشرعي بالقياس هو إبليس، وقد ذكر السلف رضي الله عنهم هذا؛ أن أول من استعمل العقل وقاس ليرُدَّ النص الشرعي هو إبليس، أمره الله تبارك وتعالى أمراً واضحاً بالسجود لآدم- وهذا نصٌّ

١- "الفقيه والمتفقه" للخطيب البغدادي (٣٨٦/١).

شرعي-، فَبَدلَ أن يستجيب ويخضع ويتذلل لأمر الله سبحانه وتعالى؛ أخذ يعترض على حكم الله، على النص الشرعي بالقياس العقلي.

كيف اعترض بالقياس العقلي؟

قال: آدم خُلق من ماذا؟ من تراب، وإبليس خُلق من نار، وفي نظره: النار أفضل من التراب؛ إذن كيف يسجد مَن أصله من نار التي هي أفضل، لمن أصله من التراب التي هي دون النار وأقل؟

هذا القياس العقلي الذي ذهب إليه إبليس فرَدَّ به النص الشرعي، احذر أن تسلك هذه الطريق؛ وهي طرق أهل البدع أصحاب الرأي، أصحاب القياس؛ سواء في العقائد أو في الأحكام.

ولقائلٍ أن يقول: ألا ترون أنتم القياس؟ ألا تقيسون؟

نقول: ليس الأمر كذلك، نحن نقيس في غير العقيدة، ونرى القياس حجة شرعية في الفقه، وقد ثبت القياس في الفقه عن جمع من أصحاب النبي ﷺ، ولا خلاف فيه بينهم- فيما يُعلَم.

إذاً كيف تنكرون على أصحاب القياس؟

نقول: نحن ننكر على من يقيس في العقيدة، ومع وجود النص الشرعي؛ فافهم الفرق جيداً، الأمر كما قال الأوزاعي رحمه الله[1]؛ قال: "ما نقمنا على أبي حنيفة أنه يرى" يعني: يقيس بعقله؛ قال الأوزاعي: "كلنا يرى؛ ولكنا نقمنا عليه أنه يجيئه الحديث عن النبي ﷺ فيخالفه إلى غيره".

١- "ذم الكلام" للهروي (٢/٣).

فهذا ما ينكرونه على أصحاب الرأي: أنه أذا جاءهم النص الشرعي يردُّونهُ ولا يقبلونه ويعارضونه بعقولهم؛ وهذا الذي يركّز عليه أهل السنة؛ فيقولون: إذا جاء النص الشرعي؛ فواجبنا التسليم؛ {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [النساء: ٦٥]؛ هذا حال المؤمن: التسليم لحكم الله تبارك وتعالى، لاحظوا ماذا فعلت عائشة مع المرأة التي جاءت تسألها: (ما بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة) ماذا قالت لها؟ قالت: "أحرورية أنتِ ؟!"، أنتِ من أهل البدع؟ من الخوارج الذين يحكّمون عقولهم على الشريعة؟ قالت: "لا؛ ولكن أسال"، ماذا قالت عائشة رضي الله عنها؟ قالت: "قَدْ كَانَتْ إِحْدَانَا تَحِيضُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ثُمَّ لَا تُؤْمَرُ بِقَضَاءٍ". متفق عليه[1]؛ أي: هكذا أمرنا رسول الله ﷺ؛ فردّتها إلى النص الشرعي؛ يعني: إذا جاءك النص الشرعي؛ فسلِّمي ولا تعارضي بعقلك؛ هذا معنى كلام عائشة، كان بإمكان عائشة أن تقول لها مثلاً: إذا أُمِرَتْ الحائِضُ بقضاء الصلاة سيشق عليها بخلاف قضاء الصوم، لكنها ما أرادت أن توجهها هذا التوجيه؛ إنما أرادت أن تعلمها أصلاً؛ وهو التسليم للنص الشرعي، وعدم معارضته بالعقل ولا بالهوى؛ والواجب في العقيدة الاتباع اتباع الشرع ومنهج السلف، لا القياس العقلي، هكذا يكون السني سنياً.

فواجبك أن تبحث عن الدليل الشرعي في المسألة، فإذا وجدته؛ تمسكت به، ولا تعارضه بعقلك، معارضة النص الشرعي تكون بالنص الشرعي، إذا وجدت نصاً شرعياً آخر يعارض النص الشرعي في نظرك؛ عندئذٍ تبحث عن طريقة الجمع بينهما حتى تصل إلى مراد الله ومراد رسوله ﷺ، أما أن تعارض النص بعقلك؛ فلا؛ هذا ليس من ديننا في شيء؛ وهذه المسألة مهمة ومن مباحث أصول الفقه.

١- البخاري (٣٢١)، مسلم (٣٣٥).

وبالنسبة لأصول الفقه؛ فتحذرون؛ فإن كثيراً من الذين يتكلمون في أصول الفقه ويكتبون ويؤلفون هم من العقلانيين؛ من أصحاب الرأي، ليسوا من أهل السنة؛ فأنت تتنبه لهذه التقريرات في كتب أصول الفقه، وتحذر منها.

قال المؤلف: **(ولا تُضْرَبُ لَها الأَمْثالُ)**

لا تضرب للسنة الأمثال؛ يعني: لا تعترض على السنة بضرب الأمثال، وتقول: هذه المسألة مثل تلك، فإذا كانت هذه حلال؛ فتلك حلال، وإذا كانت هذه حرام؛ فتلك حرام، فمع وجود النص الشرعي؛ لا مجال لاستعمال الرأي أبداً، لا مكان للعقل مع وجود النص الشرعي الصحيح، ولا يمكن لنص شرعي صحيح أن يُعارض العقل الصريح أبداً، إنما المعارضة بين النص الشرعي والعقل في العقول الخربة، العقول العفنة؛ هذه التي يتعارض النص الشرعي معها، أما العقل الصريح الصافي النظيف؛ فلا يمكن أن يتعارض مع نص شرعي صحيح أبداً، ولو سلمنا تسليماً جدلياً أنه يمكن أن يتعارض؛ فالتسليم للنص الشرعي واجب؛ لأن العقل يحتمل الصواب والخطأ.

وزعْمُ من زَعَمَ أنَّ العقل دلالته يقينية وأن النص دلالته ظنية: زعمٌ باطل كذب، ولو كان الأمر كما يقولون؛ لما تنافس أصحاب العقل فيما بينهم على المسائل الشرعية؛ فيزعمون أن بعض المسائل أدرك العقل يقيناً أنها على نحو معين؛ فتأتي فرقة أخرى عقلانية أيضاً تخالفها وتقول قولاً مضاداً لقولها؛ إذاً أين اليقين في ذلك؟!

الجهمي يقرر في أسماء الله وصفاته ما لا يقرره المعتزلي، والمعتزلي يقرر ما لا يقرره الأشعري، والأشعري يقرر ما لا يقرره الماتريدي؛ وهكذا، أنتم كلكم تعتمدون على العقل، وكلكم تزعمون أن دلالة العقل يقينية؛ إذاً لماذا تضطربون وتختلفون

وتتخاصمون؟ أيمكن لعاقل أن يختلف مع عاقل آخر في أمر يقيني؟ لا يمكن؛ إذاً ما هم فيه أوهام، ضلالات؛ باطل لا حقيقة له.

قال: **(ولا تُدْرَكُ بِالعُقُولِ ولا الأَهْواءِ؛ إنَّما هُو الاتِّباعُ وَتَرْكُ الهَوى)**

ما هي التي لا تدرك بالعقول؟

السنة، العقيدة هي التي لا تدرك بالعقول؛ إنما تدرك بالنص الشرعي، كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ قال: "لو كان الدين بالرأي؛ لكان أسف الخف أولى بالمسح من أعلاه"، لو كانت القضية قضية عقل؛ فكيف سيكون مسح الخف؟ هل الخف أكثر اتِّساخاً من الأسفل أم من الأعلى؟

بالعقل: من الأسفل؛ هو محل مماسة القذارات؛ إذاً ينبغي أن يكون المسح من أسفل أم من أعلى؟

من الأسفل؛ لأن الانساخ فيه أكثر؛ هذا عقلاً.

لكن شرعاً من أين يمسح الخف؟

من الأعلى؛ إذاً القضية ليست قضية عقل؛ المسألة مسألة تعبدية؛ قال الله كذا وقال رسوله كذا، ونحن نقول: سمعنا وأطعنا؛ تسليم.

قوله: **(ولا الأهواء)**؛ لا تدرك السنة بالعقول ولا الأهواء.

أكثر ما يفسد السنة عند الناس وما يضل بسببه الأفراد: العقل والهوى، تُعَارِض أدلة الشرع بالعقل؛ فيكون سبباً لضلالك.

أو اتباع للهوى، الهوى: هو ميل النفس إلى ما تشتهيه، يعني مثلاً: شخص له رغبة في أن ينتهك الأعراض ويتلذذ بالنساء ويحصل على أنواع الأموال، له هوى وميل نفس إلى ذلك؛ كيف يمكن أن يصل إلى هذا؟

يُكَفِّرُ المسلمين، بتكفير المسلمين واستباحة دمائهم يمكنه أن يحصل على هذا، ويصل إلى ما يريد، إذا كفرهم واستباح دماءهم وأجاز الخروج بالسيف؛ وصل إلى ما يريد من هوى النفس- بدعة ضلالة-، ويلبس عليه الشيطان ببعض من الأدلة المتشابهات، ويدخل في هذا المضمار، ويجَمِّلُ له ويحسن الشيطان ما دخل فيه؛ حتى يصبح من الذين يظنون أنفسهم أنهم يفعلون خيراً؛ وهذا من تلبيس الشيطان عليهم.

واتباع الهوى خطير على الدين، قال الله تبارك وتعالى: {وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ؛ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ} [النازعات: ٤١]، وقال: {إن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ} [النجم: ٢٣]، وقال لداود: {يا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ} [ص: ٢٦]؛ هذا هو الهوى، وأهل البدع سُمو أهل أهواء لأنهم يتبعون أهواءهم في الحقيقة؛ {أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ} [الجاثية: ٢٣]؛ فاحذر مما تميل إليه نفسك؛ فهذا هو الهوى، تبدأ بالتلاعب بأدلة الشرع كي تتوافق مع ما تميل إليه نفسك؛ هذا هو معنى اتباع الهوى.

قوله: **(إنما هو الاتباع وترك الهوى)** لاحظ ماذا قال هنا: (إنما هو الاتباع وترك الهوى)؛ هذا أصل عظيم تضعه نصب عينيك، وتحفظه جيداً لأنه أصل كل سلفي، أصل كل من سلك طريق الحق طريق الجادة؛ الطريق المستقيم: الاتباع وترك الاعتراض بالعقول والأهواء، الاتباع وترك الهوى والعقل جانباً مع نصوص الشرع، الاتباع لكتاب الله ولسنة رسول الله ﷺ ولمنهج السلف الصالح؛ من النبي ﷺ

والصحابة والتابعين لهم بإحسان وأتباع التابعين؛ {وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا} [المساء: ١١٥]؛ إذاً ديننا دين اتباع، {وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ} يعني: غير طريق الصحابة الذي كانوا عليه؛ يغيره، يخالفه اتباعاً لهواه؛ فتوعد بالنار لمثل هذا، قال تعالى: {وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ} [التوبة: ١٠٠]، فإذا أردت أن تكون من الناجين فعليك؛ بالاتباع؛ اتباع ما كان عليه أصحاب النبي ﷺ.

إذاً القاعدة عندنا: قول ابن مسعود: "اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم:، فإذا أردنا أن نعرف الحق من الباطل في مسألة؛ ننظر أدلتها من الكتاب والسنة، ثم ننظر تفسير الكتاب والسنة من أقوال أصحاب النبي ﷺ والتابعين وأتباع التابعين؛ عندها نعرف الحق من الباطل، إذا أجمعوا على المسألة؛ أجمعنا معهم، وإذا اختلفوا؛ اخترنا من أقوالهم ما نعتقد أنه الحق؛ فيسعنا ما يسعهم في الإجماع وفي الخلاف؛ فلا نوالي ونعادي على مسألة اختلف فيها السلف، ولا نميع ونترك محاربة المبتدع الذي أتى بقول جديد مخالف لما عليه إجماع السلف؛ هذا هو ديننا، وهذا هو منهجنا الذي نسير عليه، ونسأل الله عز وجل الثبات لنا ولكم على ذلك إلى الممات، والله أعلم.

قال الإمام أحمد رحمه الله: **(وَمِنَ السُّنَّةِ اللَّازِمَةِ الَّتِي مَنْ تَرَكَ مِنْهَا خَصْلَةً، لَمْ يَقْبَلْهَا وَيُؤْمِنْ بِهَا؛ لَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِهَا: الْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ)**

كلام الإمام أحمد رحمه الله هنا مهم جداً، وما قاله هنا؛ قاله غيره أيضاً من أئمة السلف كعلي بن المديني وغيره، وهذا الذي ذكره يهدم أصل المميّعة الذين ابتدعوا أصلاً جديداً؛ وهو أن الشخص لا يخرج من السلفية بخطأ واحد ولا بخطأين، وصاروا يعدّدون، ولو قلت للواحد منهم: ما هو العدد الذي يكون ضابطاً عندك في الأمر؟ لم

يعرف الإجابة، وإن وضع رقماً؛ لم يستطع أن يقيم عليه أدلة وبراهين؛ لأنه قول مبتدَع، العبرة عند السلف رضي الله عنهم ليس بالعدد؛ إنما بالنوع؛ ما نوع الخطأ؟

يقول لك: فلان أخطأ.

كلهم أخطؤوا؛ إبليس أخطأ، أبو جهل أخطأ، أبو لهب أخطأ، الجهم بن صفوان أخطأ، الجعد بن درهم أخطأ، عبد الرحمن بن ملجم أخطأ، عمران بن حطّان أخطأ، واصل بن عطاء أخطأ، عمرو بن عبيد أخطأ، بشر المِرّيسيّ أخطأ؛ وهلمّ جراً، الأشاعرة أخطؤوا، القدرية أخطؤوا، الفاسق أخطأ، الذي يشرب الخمر أخطأ، الذي يكذب أخطأ.

كلمة: "فلان أخطأ" كلمة مطاطة، يقول لك: اجتهد فأخطأ، ليس كل اجتهاد يُقبَل، وليست الأخطاء بمنزلة واحدة؛ فهي متفاوتة؛ فالعبرة- بارك الله فيكم- ليس بعدد الأخطاء؛ بل بنوع الخطأ؛ فمن الخطأ ما يُكَفَّرُ به الشخص، ومن الخطأ ما يبدّع به، ومن الخطأ ما يفسق به، ومن الخطأ ما يُعذَر به؛ هذا ما كان عليه السلف الصالح، وهذا ما عليه علماؤنا.

هنا الإمام أحمد يقول: إن من ترك خصلة واحدة لم يقبلها ويؤمن بها لم يكن من أهلها؛ يعني من أهل السنة، إذاً يكون مِمَّنْ؟

يكون من أهل البدع بخصلةٍ واحدة من الخصال التي ذكرها المؤلف رحمه الله، إذا لم يقبل واحدة منها ورفضها؛ لا يكون من أهلها؛ بخطأ واحد.

النبي ﷺ والسلف من بعده حذّروا من الخوارج بخطأ واحد، حذّروا من القدرية بخطأ واحد، لما وصل ابن عمر الخبر بأن القدرية يقولون: "الأمر أُنُف" فقط هذه الجملة:

"الأمر أُنُف"، قال: "أخبرهم أنني بريء منهم وأنهم برآء مني حتى يؤمنوا بالقدر خيره وشرّه"؛ خطأ واحد.

علامة الخوارج: أن يقول لك الشخص: إن دماء المسلمين حلال؛ هذا خطأ واحد؛ لكنه يصير به من الخوارج.

المرجئة؛ إذا قال المرجئ: أعمال الجوارح ليست من الإيمان؛ هذا خطأ واحد؛ صار به مرجئاً مبتدعاً ضالاً مخالفاً لأهل السنة.

الجهمي؛ إذا قال: القرآن مخلوق؛ هذا خطأ واحد.

هذه عقيدة أهل السنة، هذا منهج السلف الصالح؛ فاحذروا من تلبيس المميّعة عليكم -بارك الله فيكم-، هؤلاء ليسوا من أهل السنة، هم أنفسهم من أهل البدع، وقد جعلوا أنفسهم محامين عن أهل البدع، مدافعين ذابّين عنهم، يحبونهم ويبغضون أهل السنة الذين يتكلمون فيهم، ويحذّرون منهم؛ هذا أصلٌ قد فارقونا به.

إذاً المؤلف سيذكر لنا هنا خصال السنة التي من تمسك بها كان من أهلها، ومن ترك خصلة واحدة منها لم يكن من أهلها، والعلماء ما زالوا يذكرون ذلك عند حديث: "ستفترق هذه الأمة إلى ثلاثٍ وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي"[1]؛ فأخذوا يبيّنون هذه الفِرَق، فيذكرون لهم من الأخطاء ما يخرجون به عن دائرة السنة، ويذكرون خطأً خطأً لكل فرقة، هذا الخطأ يكون فارقاً لهم عن أهل السنة كما مثّلنا وذكرنا.

أول هذه الخصال التي ذكرها المؤلف: **(الإيمان بالقدر خيره وشرّه)** بدعة القول بالقدر بدعة قديمة ظهرت في أواخر عهد أصحاب النبي ﷺ، بعد بدعة الخوارج وبدعة

١- أخرجه بهذا اللفظ الترمذي (٢٦٤١)، وغيره.

الشيعة، ظهرت بدعة القدرية في زمن ابن عمر، كان في البصرة رجل يقال له: معبد الجُهَنيّ؛ وهو ممّن دعا إلى هذه البدعة- بدعة القدر-، فجاء اثنان من طلبة العلم إلى عبدالله بن عمر رضي الله عنه؛ فقالوا: "خرج من قِبَلنا أناس يَتَقَفَّرُونَ الْعِلْمَ" يعني: يطلبونه، "يقولون: الأمر أُنُف"، قال ابن عمر مباشرةً بعد أن سمع هذا الخطأ الواحد: "أَخْبِرْهُمْ أَنِّي مِنْهُمْ بريء، وَأَنَّهُمْ مِنِّي بُرآء؛ حتى يؤمنوا بالقدر خيره وشره"[1]، ثم ذكر حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه في قصة جبريل المشهورة؛ أن جبريل سأل النبي ﷺ عن الإسلام وعن الإيمان وعن الإحسان، فذكر لهم في تعريف الإيمان: (الإيمان بالقدر خيره وشره) ذكر لهم هذا الدليل؛ فأقام عليهم الحجة؛ هكذا تقام الحجة على العباد؛ اذكر له الدليل مِن: قال الله، قال رسول الله ﷺ، وكيف فهمه السلف الصالح رضي الله عنهم؛ وانتهى الأمر، واتركه بعد ذلك.

كيف تكون مؤمناً بالقدر خيره وشره على عقيدة السلف، على المعنى الذي ذكره المؤلف؟

تكون مؤمناً بالقضاء والقدر: بأن تؤمن بأن الله سبحانه وتعالى قدّر كلّ شيء، وعلم كل شيء سيكون في هذا الكون، وعلم وقت كون كل شيء وصفاته، وكتب ذلك عنده تبارك وتعالى، وما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن؛ فلا يمكن في هذا الكون أن يكون شيء لا يريده الله سبحانه وتعالى أبداً؛ حتى كفر الكافر وإيمان المؤمن أراده الله كوناً فكان، ولو لم يرده لما كان، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وتؤمن بأن الله خالق كل شيء؛ ومن ذلك أفعال العباد، فعلك الذي تفعله أنت بإرادتك واختيارك؛ الله سبحانه وتعالى خلقه.

١- أخرجه مسلم (٨).

باختصار هي أربع مراتب إذا آمنت بها؛ آمنت بالقدر:

المرتبة الأولى: العلم: أن تؤمن أن الله سبحانه وتعالى يعلم كل شيء؛ ومن ذلك ما العبادُ فاعلوه؛ يعلمه الله سبحانه وتعالى {إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا} [النساء: ٣٢]؛ تؤمن بهذا.

المرتبة الثانية: الكتابة: يعني أن الله سبحانه وتعالى كتب كل شيء عنده كما جاء في الحديث: "إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمُ قَالَ له: «اكْتُبْ» قَالَ: مَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: «اكْتُب مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يوم القيامة»[1].

المرتبة الثالثة: المشيئة: ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، كما قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [التكوير: ٢٩]، وقال: {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ} [البقرة: ٢٥٣].

والمرتبة الرابعة: الخلق: {اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ} [الزمر: ٦٢]، {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ} [الصافات: ٩٦]؛ إذاً خلقكم وخلق أعمالكم أيضاً.

هذه المراتب الأربع، إذا آمنت بها؛ آمنت بالقدر خيره وشره، وفارقت أهل البدع من القدرية.

بعض القدرية ينفون العلم عن الله سبحانه وتعالى؛ يقولون: الله لا يعلم الأشياء قبل كونها من أفعال العباد، وينفون أن يكون قد كتب ذلك عنده؛ وهؤلاء غلاتهم، وهؤلاء كفرة؛ كفّرهم السلف رضي الله عنهم.

١- أخرجه أحمد (٢٢٧٠٥)، وأبو داود (٤٧٠٠)، والترمذي (٢١٥٥) عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

ومنهم من يقول: أفعال العباد ليست مخلوقة لله ولا شاءها الله؛ بل العبد يفعل بمحض إرادته، ولا تعلُّقَ لفعل الله سبحانه وتعالى بفعل العبد، ولم يخلق الله سبحانه وتعالى أفعال العباد؛ هؤلاء قد أثبتوا خالقاً مع الله سبحانه وتعالى؛ فجعلوا العبد خالقاً مع الله يخلق فعله، والله سبحانه وتعالى كذّبهم في ذلك بقوله: {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ}؛ خلقكم وخلق أفعالكم أيضاً؛ هذا معنى الإيمان بالقدر خيره وشره.

ثم قال: **(والتَّصْدِيقِ بالأَحادِيثِ فِيهِ، وَالْإِيمَانِ بِهَا)**

أي: الأحاديث في مسائل القدر والإيمان بمسائل القدر.

قال: **(لَا يُقَال: "لِمَ"، وَلَا: "كَيْفَ"؛ إِنَّمَا هُوَ التَّصْدِيقُ والإِيمَانُ)**

كان السلف رضي الله عنهم يشدّدون في هذا الأمر جداً؛ لا تقل للنص الشرعي: لم؟ ولا كيف؟ لم هدى الله أبا بكر ولم أضلّ الله أبا جهل؟ لا تسأل هذا السؤال؛ الله سبحانه وتعالى عادل، تؤمن بهذا الأمر؛ بأن الله عادل وليس بظالم {وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ} [فصلت: ٤٦]، وتؤمن أيضاً بأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وبأن الله يهدي من يشاء ويضل من يشاء؛ تؤمن بهذا وتسكت، والقدر بعد ذلك سر الله في خلقه؛ فلا تبحث عن سر الله في خلقه، نحن نؤمن بأن الله سبحانه وتعالى لا يفعل شيئاً إلا بحكمة، وأفعاله كلها دائرة بين العدل والحكمة والفضل والإحسان؛ هذه أفعال الله؛ فهو عادل في أفعاله حكيم، نؤمن بهذا كله ونقف عند ذلك؛ لا نسأل: لم، ولا كيف؛ لم فعل كذا؟ وكيف فعل كذا؟ لا تقل للأصل لم ولا كيف؛ هذه قاعدة سلفية.

قوله: **(إنما هو التصديق والإيمان)** فقط؛ هذا في جميع النصوص التي وردت في الشريعة؛ لا نعارضها بعقولنا؛ لا نقول لها: لم، ولا كيف، اعتراضات ومحاولة للبحث عن أمور ربما تكون عقولنا أصغر منها بكثير.

قال المؤلف: (وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْ تَفْسِيرَ الحَدِيثِ وَيَبْلُغْهُ عَقْلُهُ؛ فَقَدْ كُفِيَ ذَلِكَ وَأُحْكِمَ لَهُ؛ فَعَلَيْهِ الإِيمَانُ بِهِ والتَّسْلِيمِ لَهُ؛ مِثْلَ حَدِيثِ: "الصَّادِقِ المَصْدُوقِ")

هذه الفقرة مهمة أيضاً، والمؤلف يدندن ها هنا على مسألة الاتباع؛ ماذا يعني؟

يعني: ديننا دين اتباع، لا دين اختراع وابتداع، وسواءٌ استطعت أن تفهم النصوص الواردة إليك أم لم تستطع؛ فليس عليك إلا شيء واحد؛ وهو أن تتبع السلف الصالح رضي الله عنهم فيه؛ بأن تؤمن وتسلم.

يقول المؤلف: **(ومن لم يعرف تفسير الحديث، ويبلغه عقله)** استشكل عليك، ربما ترد عليك وساوس من الشيطان، أو من شياطين الإنس أهل البدع؛ يوردون عليك إيرادات، كيف فعل كذا؟ ولِمَ فعل كذا؟ وأليس هذا بظلم؟ وإذا أثبتنا الصفات يلزم منه التشبيه، ومثل هذه الكلمات؛ ربما أنت لضعف القلوب وقلة العلم؛ تقع هذه الشبهة في قلبك وتضعف عن ردِّها، وعقلك لا يدرك حقائق النصوص؛ فما واجبك في هذه الناحية؟

الجواب: قال: **(ومن لم يعرف تفسير الحديث ويبلغه عقله؛ فقد كُفي ذلك وأُحكم له)**، لست بحاجة أن تتكلف التفسير وتتكلف أن تعقل الأمر بطريقة عقلية؛ إنما يكفيك أن تنظر ما كان عليه السلف الصالح رضي الله عنهم وتتبعهم فيه؛ فقد كُفيت بيان هذه الأحاديث في معانيها، وأحكمت لك نصوص الشريعة ومعانيها؛ فلا يجوز لك أن تتجاوزها؛ (فقد كفي ذلك وأحكم له)؛ كفاك السلف رضي الله عنهم تفاسير الأحاديث وبيان معانيها- أحاديث القدر وأحاديث الصفات وما شابه- وأحكم له تفسير الحديث؛ ماذا بقي عليه؟ بقي عليه الإيمان به والتسليم له فقط؛ هكذا يكون حسن الاتباع.

قوله: **(مثل حديث الصادق المصدوق)** هو حديث ابن مسعود؛ قال رسول الله ﷺ: "إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، وَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ عَمَلَهُ، وَرِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ، فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ لَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجَنَّةِ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ كِتَابُهُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، وَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ". متفق عليه[1]، وقد جاء في حديث ابن مسعود أنه قال: أخبرني الصادق المصدوق؛ ويقصد النبي ﷺ، والشاهد من ذلك: أن الله سبحانه وتعالى كتب كل شيء؛ رزقك مكتوب، أجلك متى تموت، عملك؛ صالح أم طالح، ومصيرك في النهاية أشقي في النار أم سعيد في الجنة؛ كله مكتوب ومقدَّر، إن استطعت أن تفهم هذا وتستوعبه فالحمد لله، ما استطعت؛ فسلم لما كان عليه سلفك الصالح رضي الله عنه؛ وهذا واجبك: اتباعهم، حتى وإن طرأت عليك بعض الشبهات وبعض الضلالات؛ اطردها من نفسك، وقل: أُمِرْنا بالاتباع وبالإيمان والتسليم ونحن نؤمن ونسلِّم.

قال: **(وَمِثْلَ مَا كَانَ مِثْلُهُ فِي القَدَرِ)**

يعني: مثل ما جاء من أحاديث وآيات في ذكر القدر؛ تؤمن بها وتسلّم؛ اتباعاً لما كان عليه سلفك الصالح رضي الله عنهم؛ بغض النظر استطعت أن تفهم أم لم تستطع.

قال: **(وَمِثْلَ أَحَادِيثِ الرُّؤْيَةِ كُلِّهَا)**

١- البخاري (٣٢٠٨)، ومسلم (٢٦٤٣).

أي: رؤية الله في الدار الآخرة؛ كما جاء في الحديث: "إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ، كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ، لاَ تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ". متفق عليه[1]؛ يعني: يوم القيامة؛ فنحن سنرى الله سبحانه وتعالى لأن الأحاديث متواترة بذلك، ولأن السلف الصالح رضي الله عنهم قد قرروا لنا هذه العقيدة؛ فإياك إياك أن تعارض النصوص الشرعية بعقلك؛ فديننا مبني على الإيمان والتسليم والقبول، الأمور الغيبية نأخذها بالتسليم؛ لا نعارضها بعقولنا، وقد أثنى الله سبحانه وتعالى على الذين يؤمنون بالغيب، فحقيقة الإيمان هي الإيمان بالغيب، لاحظ مسائل الإيمان التي ذكرها النبي ﷺ لجبريل؛ قال: "أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره"؛ كلها أمور غيبية غير مشاهدة، فالمُشاهد يؤمن به الجميع؛ لكن حقيقة الإيمان تظهر عند التسليم للأمور الغيبية.

قال: **(وإِنْ نَأَتْ عَنِ الأَسْمَاعِ، وَاسْتَوْحَشَ مِنْهَا المُسْتَمِعُ)**

يعني: تسلُّم للنص وتؤمن به ولا تعارضه بعقلك؛ وإن ثقلت هذه النصوص على سمعك؛ يعني: اهتززت من سماعها وأخافتك واستنكرتها، **(واستوحش منها المستمع)**؛ رآها غريبة عليه؛ لم تركب على عقله، إن حصل معك ذلك فاطرد كل هذه المسائل وسلِّم واتبع؛ هذا هو ديننا {وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا} [النساء: ١١٥] عذاب؛ عقاب من الله على الذي يترك طريق الاتباع.

قال: **(وإِنَّمَا عَلَيْهِ الإِيمَانُ بِهَا)**

لا بد عليك أن تصدق بهذه النصوص، حتى وإن استثقلتها واستوحشت منها؛ يجب عليك أن تسلِّم؛ أن تؤمن بها تصدق بمعانيها.

١- البخاري (٥٥٤)، ومسلم (٦٣٣) عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه.

قال: **(وألَّا يَرُدَّ مِنْها حَرْفاً واحِداً)**

إياك أن تكفر بحرفٍ واحدٍ منها؛ بجحوده أو بتحريفه.

قال: **(وَغَيْرَها مِنَ الأَحَادِيثِ المَأْثوراتِ عَنِ الثِّقَاتِ)**

كل ما صحَّ عن النبي ﷺ؛ يجب الإيمان به والتسليم له، وألا تعارضه بعقلك ولا بهواك كما يفعل المتكلمون من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة، وكما يفعل غيرهم من أهل البدع كالخوارج والمرجئة والقدرية والجبرية؛ فإياك وطريقهم، والزم طريق السلف الصالح رضي الله عنهم، مهما طرأ على ذهنك من شبهات؛ اطردها وقل لنفسك كلمة واحدة: "اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم"؛ احفظها جيداً واسلك هذا المسلك، وتذكر ما قاله الإمام الأوزاعي رحمه الله: (عليك بآثار من سلف)- اتبع طريقهم- (وإن رفضك الناس، وإياك وآراء الرجال وإن زخرفوه لك بالقول)؛ هذا هو طريقنا وهذا منهجنا، ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يثبتنا على دينه الحق الذي يحبه ويرضاه، وعلى هذا المنهج الذي كان عليه النبي ﷺ والصحابة ومن اتبعهم بإحسان إلى أن نلقاه.

قال المؤلف: **(وألَّا يُخَاصِمَ أَحَداً ولا يُنَاظِرَهُ)**

كان السلف يشددون جداً في مناظرة أهل البدع في أصول السنة، كانوا يشددون في ذلك؛ لأنه مزلة أقدام؛ إذ يلزم منه مجالسة أهل البدع، ويلزم منه السماع لشبهاتهم، والقلوب ضعيفة والشبه خطافة؛ لذلك انحرف من انحرف بسبب فتح هذا الباب على مصراعيه، فأخذ يجادل ويناظر أهل البدع ليل نهار؛ حتى انحرف وصار منهم، خالف منهج الاتباع فوقع في الابتداع ولا بد.

انظر ما يقوله إمامنا: (وألا يخاصم أحداً ولا يناظره)؛ مخاصمة بمعنى المناظرة.

قال: **(ولا يَتَعَلَّمَ الجِدَالَ)**

دعك من الأخذ والرد في المسائل العلمية، بيّن الحق بدليله واترك؛ هذا ما تعلّمناه من علمائنا، كان شيخنا الوادعي رحمه الله إذا جاءه الشخص يريد أن يسأل عن مسألة؛ يجيبه الشيخ، فإذا بدأ بالمجادلة وعلم الشيخ رحمه الله أنه يريد الجدال؛ قال له: اطلب العلم يا بني، ويغلق باب الجدال، اطلب العلم، تعلم وستعرف الحق من الباطل، الحمد لله كل شيء مسطور، ما ترك السلف شيئاً بفضل الله، تعلم واتبع والتزم ودعك من المناظرات والجدال، تريد أن تقيم الحجة على العباد؛ قال الله، قال رسول الله، قال الصحابة كذا وكذا؛ أرشده إلى الكتاب الذي تكلم في المسألة ودعه، لا تفعل ما يفعله كثير من الشباب اليوم؛ يجلس مع المبتدع ويجادله بحجة أنه يريد أن يقيم الحجة عليه، من قال لك بأن إقامة الحجة تكون بهذه الطريقة، تجالسه ليل نهار بدعوى أنك تريد إقامة الحجة عليه؟

هذا باطل وكذب، هذه ليست إقامة حجة؛ هذا تبرير لنفسك كي تجالس أهل البدع، يكفيك في إقامة الحجة على شخص في مسألة أن ترشده إلى كتاب أُلِّف في المسألة، انتهى الأمر، أو أن تقول له: قال الله كذا، قال رسوله كذا، وقال الصحابة كذا؛ انتهى الأمر قد أقيمت عليه الحجة، لا تحتاج كثرة مجالس، برسالة واحدة أرسلها النبي ﷺ إلى ملك الروم أقام الحجة على الروم، لا داعي للغلو الذي يسلكه بعض الشباب في ذلك ويجعلونه ذريعة إلى فتح المجال لمجالسة أهل البدع ومخالطتهم وسماع شبهاتهم بدعوى أننا نريد أن نقيم الحجة عليهم، العلم اليوم مفتوح بارك الله فيك، ويستطيع كل أحد أن يصل إليه بما أنه قارئ يحسن القراءة، ويحسن السماع- والصوتيات كثيرة-، ومن أراد الحق؛ فيجب عليه أن يبحث عنه؛ فلا داعي للغلو والمبالغة في مسألة إقامة الحجة المزعومة من أجل أن نتخذها ذريعة إلى مجالسة أهل البدع والاستماع إليهم ومخالطتهم.

قال: **(فَإِنَّ الكَلَامَ فِي القَدَرِ والرُّؤْيَةِ والقُرْآنِ وَغَيْرِها مِنَ السُّنَنِ مَكْروهٌ وَمَنْهِيٌّ عَنْهُ)**

مسائل الاعتقاد؛ مسائل القدر، ورؤية الله سبحانه وتعالى يوم القيامة، والقرآن غير مخلوق.

وقوله: **(وغيرها من السنن)** أي من العقائد.

وقوله: **(مكروه ومنهي عنه)** مكروه يعني محرم، وقوله بعد (مكروه): (منهي عنه)؛ يعني: لا يجوز؛ وعلى هذا سلفنا الصالح جميعاً.

قال: **(لا يَكونُ صَاحِبُهُ- وإنْ أَصَابَ بِكَلامِهِ السُّنَّةَ- مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ، حَتَّى يَدَعَ الجِدَالَ وَيُسَلِّمَ، وَيُؤْمِنَ بالآثارِ)**

انظر! إن جادلت وخاصمت لا تكون من أهل السنة حتى وإن كنت قد أصبت السنة؛ (لا يكون صاحبه وإن أصاب بكلامه السنة من أهل السنة حتى يدع الجدال ويسلم ويؤمن بالآثار)؛ تسليم، لا تخاصم ولا تجادل، سلم بما كان عليه السلف الصالح رضي الله عنهم، فلا تخاصم أحداً ولا تناظر ولا تجادل.

لاحظ قوله: (لا يكون صاحبه وإن أصاب بكلامه السنة من أهل السنة حتى يدع الجدال ويسلم ويؤمن بالآثار) فقط، فاحذروا بارك الله فيكم أن يلبس عليكم الشيطان، مجالسة أهل البدع خطر عظيم على دينك، والسماع لشبهاتهم، انج بنفسك قبل أن تفكر بسلامة غيرك، غيرك إذا أراد الحق؛ بحث عنه، وإذا بحث عنه وأخلص في ذلك؛ وفقه الله سبحانه وتعالى إذا شاء.

قال المؤلف رحمه الله: **(وَالْقُرْآنُ كَلَامُ اللهِ وَلَيْسَ بِمَخْلوقٍ)**

هذه مسألة من المسائل العظيمة التي جرت بسببها محن وفتن عظيمة على أهل السنة في وقت الإمام أحمد، فضُرب من ضُرب من العلماء، وقُتِلَ من قُتِلَ، وسُجِنَ من سُجِنَ، وكانت فتنة عظيمة تولى كبرها بعض المعتزلة؛ ابن أبي دؤاد، كان وزيراً لبعض أمراء

الدولة العباسية؛ المأمون والمعتصم والواثق، وكانوا في فترة الإمام أحمد، وتبنوا قول ابن أبي دؤاد هذا بأن القرآن مخلوق؛ تبنوا هذه البدعة، وكان المسلمون في غفلة عنها ولا يعرفونها ولا يعرفون غير السنة.

المقرر عند أهل السنة: أن الله سبحانه وتعالى يتكلم كلاماً حقيقاً يليق بجلاله وعظمته لا ككلام المخلوقين، فيتكلم بحرفٍ وصوتٍ يسمعه منه من كلَّمه؛ هذا أمرٌ كان مقرراً عند أهل السنة والجماعة ولا ينازع فيه أحد.

ويعلمون أن القرآن من كلامه تبارك وتعالى وتكلم به تبارك وتعالى، والدليل على ذلك قول الله تبارك وتعالى: {وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ} [التوبة: ٦]؛ إذاً هذا القرآن كلام الله سبحانه وتعالى، والأدلة التي تدل على أن الله سبحانه وتعالى يتكلم كثيرة في الكتاب والسنة، وأصرح ما ورد في ذلك قول الله تبارك وتعالى: {وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا} [النساء: ١٦٤]؛ هذه الآية كانت قاصمة لظهور أهل البدع الذين ينكرون أن الله سبحانه وتعالى يتكلم؛ لأنها أُكدت بمصدر، والمؤكد بمصدر من المقرر عند أهل اللغة أنه لا يمكن أن يكون مجازاً- يعني ليس حقيقياً؛ فالكلام لا يكون كلاماً حقيقياً؛ هذا معنى المجاز- فإذا كان مؤكداً بمصدر- كلم تكليماً-؛ فهذا ينفي المجاز وينتهي الأمر؛ لذلك اضطر بعض أهل البدع أن يحرف الآية تحريفاً لفظياً؛ فقال "وَكَلَّمَ اللهَ مُوسَىٰ"؛ يعني جعل المتكلم هو موسى، فبدل أن يقول {وَكَلَّمَ اللهُ} بالرفع؛ قال: "وَكَلَّمَ اللهَ" بالنصب، حتى يكون مفعولاً به؛ يعني: هو المُكَلَّمُ وليس هو المُتَكَلِّمُ؛ وهذا كفر بواح.

على كلٍ؛ هذه هي عقيدة أهل السنة والجماعة: أن الله سبحانه وتعالى يتكلم كلاماً حقيقياً بحرف وصوت؛ كما جاء في الحديث: "ويناديهم الله سبحانه وتعالى بصوت

يسمعه من قرب كما يسمعه من بعد"[1]، وكما جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: "لا أقول أ، ل، م حرف؛ ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف"[2]؛ إذاً هو يتكلم بحرف وصوت يسمعه من كلمهم الله تبارك وتعالى، وهذا القرآن من كلامه كما ذكرنا على ذلك الدليل.

هذا ما كان مقرراً عند أهل السنة والجماعة، وما كانوا يعرفون تلك البدع والضلالات التي ظهرت بعد ذلك، فتبنى بدعة القول بخلق القرآن؛ أي أنه مخلوق؛ يعني: أنه ليس من الله سبحانه وتعالى، لم يتكلم به، وليس الكلام صفة لله سبحانه وتعالى؛ هذا معنى القرآن مخلوق؛ يعني: شيء خلقه الله سبحانه وتعالى.

ويريدون من وراء هذا: نفي صفة الكلام عن الله سبحانه وتعالى؛ بأن الله لا يتكلم، الله سبحانه وتعالى يقول عن نفسه: هو يتكلم، وهم يقولون: أنت لا تتكلم، من أعلم بنفسه؟! الله سبحانه وتعالى أعلم بنفسه أم هم أعلم به من نفسه؟! سبحان الله! سبحان الله! ما أعظم ما وقعوا فيه من ضلالات! هؤلاء القوم يقول الله سبحانه وتعالى عن نفسه أنه يتكلم، ويقول عن نفسه: {ليس كمثله شيء}؛ إذاً يتكلم كلاماً يليق بجلاله وعظمته تبارك وتعالى؛ هذه عقيدتنا، وهذا ما ندين الله به؛ فالقرآن عندنا كلام الله؛ لأن الله سبحانه وتعالى قال هو كلامه؛ إذاً انتهى الأمر، قال عز وجل: {حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ}؛ إذاً انتهت القضية، ثم إن في القرآن: {إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا} [طه: ١٤]؛ من الذي يقول هذا عن نفسه؟!

إذا كان القرآن مخلوقاً فهذا المخلوق يقول عن نفسه هو إله، فكيف يكون هذا من عند الله؟! وقد رد السلف رضي الله عنهم هذا الأمر، والنقل عنهم متواتر في ذلك وأنهم

١- أخرجه البخاري معلقاً، وأخرجه أحمد (١٦٠٤٢) عن عبد الله بن أنيس رضي الله عنه.

٢- أخرجه الترمذي (٢٩١٠) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

يقولون: من قال القرآن مخلوق؛ فهو كافر؛ لأنه يزعم أن صفة من صفات الله مخلوقة، وأن الله سبحانه وتعالى لا يتكلم؛ هذا كفر نسأل الله العافية؛ وقد نصَّ على ذلك غير واحد من علماء السلف، ومنهم الإمام الشافعي الذي ينتسب إليه كثير من الذين يقولون بهذه العقيدة اليوم؛ فالإمام الشافعي يقول: من قال القرآن مخلوق فهو كافر؛ إذاً أين هم من عقيدة الإمام الشافعي وهم يزعمون أنهم شافعية، لا والله! الشافعي بريء من عقيدتهم ومما كانوا عليه.

قوله: **(وَالْقُرْآن كَلَام الله وَلَيْسَ بمخلوق)** أي: رَدَّاً على الذين يقولون بأن القرآن مخلوق، وهم المعتزلة والجهمية ومن اعتقد عقيدتهم، ومؤدى عقيدة الأشاعرة والماتريدية والكُلَّابية كلهم إلى هذا؛ أن القرآن الذي بين أيدينا ليس كلام الله سبحانه وتعالى؛ بل هو مخلوق خلقه الله سبحانه وتعالى، فمنهم من يقول: هو عبارة عن كلام الله، ومنهم من يقول: هو حكاية عن كلام، وغير ذلك؛ المهم أنهم كلهم متفقون أن الذي بين أيدينا هذا ليس هو كلام الله؛ يعني: أهل البدع من المتكلمين.

أما أهل السنة الذين يثبتون الصفات لله سبحانه وتعالى؛ فيقولون هو كلام الله صفة من صفات الله سبحانه وتعالى، وصفات الله ليس شيء منها مخلوق، والقرآن كلام الله، وليس بمخلوق.

قال: **(ولا يَضْعُفُ أَنْ يَقُولَ لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ)**

إياك! إياك أن تتردد وأن تضعف عن نطق هذه الكلمة، وإن كانت لم ترد في القرآن ولا في السنة؛ لكن ورد في القرآن والسنة أن القرآن كلام الله، وليس من الله شيء مخلوق؛ هذا أمر متفق عليه لا خلاف فيه؛ إذاً ما الذي يمنعك أن تقول ليس بمخلوق؟

ربما تقول: نحن نقف مع الكتاب والسنة ومنهج السلف.

نقول لك: نعم السلف قد قرروا هذا، وهذا كلام الإمام أحمد أمامك؛ هذا أولاً.

ثانياً: لماذا احتاج السلف أن يزيدوا مثل هذه الألفاظ مع أنك لو بحثت في أثار الصحابة رضي الله عنهم؛ لا تجد عنهم مثل هذه الكلمات، إذاً من أين جاء بها السلف الصالح رضي الله عنهم؟ لماذا أتوا بشيء لم يكن في عهد الصحابة رضي الله عنهم؟

نقول لك- بارك الله فيك-: هذه العقائد عند أهل السنة والجماعة المقرر عندهم أن نقف مع كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ولا نزيد في الكلام، ما ورد في الكتاب والسنة؛ ننطق به كما ورد وينتهي الأمر؛ لكن هذا متى؟

هذا قبل أن يتكلم أهل البدع ببدعهم، وقبل أن يأخذوا بترويجها، وقبل أن يبدؤوا بالتلبيس على الناس، إذن هم يأخذون النص القرآني أو الحديث عن النبي ﷺ، ثم يفسرونه بمعانٍ باطلة؛ فاحتاج أهل السنة عندئذٍ أن يذكروا كلمات تَرُدُّ المعاني الباطلة التي يدندن بها المتكلمون؛ لذلك احتاجوا أن يتلفظوا بهذه الألفاظ؛ فهي ألفاظ ضرورية الآن هنا، ولا بد أن تظهر، ولا بد أن تصرخ بها وأن ترفع بها صوتك؛ لأنك إن لم تفعل هذا؛ اختلط الحق بالباطل، ولُبّس على الخلق، واندثرت الشريعة؛ إذاً لابد من رفع الصوت بالحق وبيانه وإظهاره، ومفارقة أهل الباطل؛ هذا هو ما كان عليه السلف الصالح رضي الله تعالى عنهم، وسترى ما سيفعل الإمام أحمد في هذه القضية بالذات وفي أشياء أخرى- وليس في هذه فقط-، وسننقل لكم كلامه عند مسألة اللفظ؛ الذي يقول: لفظي بالقرآن مخلوق؛ سيأتي إن شاء الله، وسننقل لكم الكلام الذي ذكره أهل العلم هنا ومنهم الإمام أحمد، ولماذا ألزم الناس أن ينطقوا بكلمات معينة في العقيدة.

لماذا ألزموا بذلك؟ رداً على أهل البدع، والرد عليهم يكون واجباً عندما يظهرون ضلالهم بين الناس.

قوله: **(ولا يضعف أن يقول ليس بمخلوق)** يعني: إذا قال القرآن كلام الله واكتفى؛ فإن الجهمي مثلاً يقول هو القرآن كلام الله، ولا يعني به أنه صفة لله سبحانه وتعالى! يقول هو كلام الله؛ ويعني: أنه خلق خلقه الله سبحانه وتعالى؛ كما تقول: بيت الله وناقة الله، فهو يقول نفس الكلمة، فانظر كيف التلبيس!

فاحتجت أنت إلى المفارقة؛ فتقول له: لا؛ أنا لا أقول كلام الله بمعنى بيت الله وناقة الله؛ إنما أقول كلام الله؛ أي: أنه صفة من صفات الله سبحانه وتعالى، يتكلم الله سبحانه وتعالى به حقيقة، وليس بمخلوق، فإذا قلت: ليس بمخلوق؛ فارقت الجهمية والمعتزلة بشكل واضح جداً.

هو يقول لك أنا أقول لك كلام الله كما أنت تقول كلام الله؛ فقل له: لا؛ المعنى الذي أقوله وأثبته يختلف عن المعنى الذي تثبته أنت؛ فأنت تقول كلام الله: أي مخلوق خلقه الله وأوجده وكرمه بإضافته إلى نفسه؛ كما كرم بيته، وكما كرم الناقة التي قال ناقة الله؛ أما أنا فأقول: هو كلام الله؛ أي: صفة من صفات الله سبحانه وتعالى؛ كما أقول: علم الله، وحياة الله، وما شابه من صفاته تبارك وتعالى؛ هذا الفارق؛ لذلك ركز الإمام أحمد على هذه الجملة؛ لأن بهذه الجملة تحصل المفارقة؛ وإلَّا فهو يدعي أنه كلام الله وأنت تقول هو كلام الله؛ إذاً ما الفرق بينكما؟

الفرق في المعنى الذي يريده والمعنى الذي تريده أنت.

كيف يتميز هذا الفرق؟

بقولك ليس بمخلوق؛ حصلت المفارقة؛ وهذا المطلوب.

قال: (فَإِنَّ كَلَامَ اللهِ لَيْسَ بِبَائِنٍ مِنْهُ)

يعني: كلام الله ليس منفصلاً عنه؛ لأنه صفة من صفاته سبحانه وتعالى؛ فلا ينفصل عنه؛ إنما المخلوق هو الذي ينفصل عن الله سبحانه وتعالى، أما كلام الله؛ فليس ببائنٍ منه؛ يعني: ليس منفصلاً عنه.

قال: (وَلَيْسَ مِنْهُ شَيْءٌ مَخْلوقٌ)

أي: ليس من الله سبحانه وتعالى شيء مخلوقٌ.

وجاء عن الإمام أحمد رحمه الله؛ أنه قال: ليس شيءٌ أشد عليهم مما أدخلت على من قال القرآن مخلوق، قلت: علم الله تعالى مخلوق؟ قالوا: لا، قلت: فإن علم الله تعالى هو القرآن، قال الله عز وجل: {وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ} [البقرة: ١٤٥]، وقال جل وعلا: {فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ} [آل عمران: ٦١]؛ هذا في القرآن في غير موضعٍ[1]؛ يعني: من ادعى بعد ذلك أن علم الله مخلوق قد ادعى أن شيئاً من الله مخلوق وصفة من صفاته فهذا كفر

قال: (وإِيَّاكَ وَمُنَاظَرَةَ مَنْ أَحْدَثَ فِيهِ)

يعني: لا تناظره، لا تجادله، لا تكلمه؛ لأنهم أهل بدع، فربما يدخل على قلبك شبهة لا تستطيع ردّها؛ فتزل فتهلك وتضيع.

قال: (وَمَنْ قَالَ باللفْظِ، وَغَيْرِهِ)

١- "الشريعة" للآجري (١٧٥).

لما ظهرت هذه البدع في عهد الإمام أحمد رحمه الله؛ انقسم الناس إلى أقسام؛ منهم أهل السنة، وهؤلاء كانوا صريحين وواضحين فيما قالوه؛ قالوا: القرآن كلام الله غير مخلوق انتهى الأمر، القضية واضحة والمفارقة مع أهل البدع واضحة.

وقومٌ قالوا: لفظي بالقرآن مخلوق، انظر! الآن صار شيء من التلبيس في زمن لا يسعك فيه إلا النطق بالحق؛ لأن البدعة جديدة لا يعرفها الناس، وأخذت تروج بسبب من يدعو إليها ومن يفتن الناس بها؛ فصارت القضية قضية خطيرة فيها دحر للحق وهزيمة لأهل الحق إذا سكتّ ولم تبين، أو تكلمت بكلام موهم يحتمل حقاً وباطلاً، لماذا تتكلم بكلام يحتمل حقاً وباطلاً في زمن الفتنة؟! أنت لا تزيد الناس إلا تشكيكاً في أمر دينهم وتضييعاً لهم وتلبيساً عليهم، فشدد السلف جداً على من قال: "لفظي بالقرآن مخلوق" شددوا كثيراً على من تلفظ بهذه الكلمة، هؤلاء ما الذي منعهم أن يقولوا القرآن كلام الله غير مخلوق؟ لماذا ذهبوا إلى مثل هذه الكلمات الموهمة؟

للتلبيس، فإما أن القائل بهذه الكلمة قد وقع شكٌ في قلبه هو نفسه، ولا يريد أن يصرّح، أو أنه يريد أن يلبّس على الناس؛ لذلك شدّد الإمام أحمد جداً على قال هذا القول، حتى قال رحمه الله: (من قال لفظي بالقرآن مخلوق؛ فهو جهمي، ومن قال لفظي بالقرآن غير مخلوق؛ فهو مبتدع)؛ لماذا؟

لأن المقام لا يحتمل مثل هذه الألفاظ، وإن كان لفظي بالقرآن مخلوق ربما أنت تعني به حركاتك، حركة لسانك، وشفتيك، هذه الحركة مخلوقة منك، لكن إذا عنيت به كلام الله الذي تقرؤه؛ فهذا مؤدَّاه نفس معنى قول من قال: كلام الله مخلوق، فهو يحتمل هذا وهذا؛ لكن المقام لا يحتمل منك أن تتلفظ بمثل هذه الألفاظ المجملة، لماذا لم تقل القرآن كلام الله غير مخلوق وينتهي الأمر؟ من أين جئتنا بهذه المحدثة الجديدة؟ لذلك قال أهل العلم: مثل هذا الكلام لا يعرفه العلماء، وردوه بذلك.

قال الآجري رحمه الله: (ومن قال لفظي بالقرآن مخلوق؛ فهو جهمي؛ كذا قال أحمد بن حنبل وغلّظ فيه القول جداً) ، وكذا (من قال: لفظي بالقرآن غير مخلوق؛ فهو مبتدع)[1] وجاء بما لا يعرفه العلماء؛ كذلك قال الإمام أحمد رحمه الله؛ فالأمر خطير.

قال: **(وَمَنْ وَقَفَ فِيهِ؛ فَقَالَ: لا أَدْرِي مَخْلُوقٌ أَوْ لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ؛ وَإِنَّمَا هُوَ كَلَامُ اللهِ)**

هذه فرقة أخرى.

فجماعة كانت صريحة؛ قالت: القرآن كلام الله غير مخلوق؛ وهؤلاء أهل السنة والجماعة.

وجماعة أخرى أيضاً كانت صريحة بباطلها؛ فقالت: القرآن مخلوق.

وجماعة ثالثة أرادت التلبيس؛ فقالوا: لفظي بالقرآن مخلوق؛ وهذا كلام يحتمل حقاً وباطلاً، وفي زمن الفتن لا يسعك هذا الكلام ولا يقبل منك.

وجماعة أخرى وقفت، كيف وقفت؟ قالوا: لا ندري مخلوق أو ليس بمخلوق؛ فقال الإمام أحمد: **(ومن وقف فيه، فقال: لا أدري مخلوق أو ليس بمخلوق)** هؤلاء هم الواقفة؛ لماذا وقفَ؟ لأنه شك؛ شك في دينه، شك في الحق الذي يجب عليه أن يدين الله به وأن يعتقده، وأن يتبع سلفه الصالح عليه؛ شك في ذلك وتوقف، لا يسعه ذلك.

وهؤلاء أيضاً ضُلّال، ويُسمَّوْن عند السلف: الواقفة، وذمهم السلف وذمهم العلماء؛ لأنهم شكوا في دينهم، والشك ليس إيماناً.

قال: **(فَهَذا صَاحِبُ بِدْعَةٍ، مِثْلَ مَنْ قالَ: هُوَ مَخْلُوقٌ)**

١- "صريح السنة للطبري" (ص٢٦).

قال الإمام أحمد: (ومن وقف فيه؛ فقال: لا أدري مخلوق أو ليس بمخلوق؛ وإنما هو كلام الله) انظر ماذا يقول! يقول: هو كلام الله، لكن هل هو مخلوق أم ليس مخلوقاً؟ يقول لك: (لا أقول مخلوق، ولا ليس بمخلوق) هؤلاء الذين يزعمون الورع، أحياناً في زمن الفتن، الحق بيّن واضح صريح، وقد صرح به أهل السنة جميعاً وأئمة السنة في زمنهم، وقالوا: القرآن كلام الله غير مخلوق، ما الذي يمنعك من أن تتبع سلفك الصالح رضي الله عنهم، هذا قال: "كلام الله" ووقف؛ لأنه شاك؛ فيقول الإمام أحمد: (فهذا صاحب بدعة مثل من قال هو مخلوق)؛ فجعله واحداً هو والذي قال: القرآن مخلوق.

قال: **(وَإِنَّمَا هُوَ كَلَامُ اللهِ، لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ)**

هذا الواجب عليك أن تدين الله به، وأن تصرخ به، وأن ترفع به رأسك، وتنادي به؛ لأنه الحق، ولأنه الذي كان عليه سلفك الصالح رضي الله عنهم.

قال المؤلف رحمه الله: **(وَالْإِيمَانُ بِالرُّؤْيَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ من الْأَحَادِيثِ الصِّحَاحِ)**

هذه مسألة: رؤية الله يوم القيامة؛ يعني: هل المؤمنون يرون ربهم يوم القيامة أم لا؟

من عقيدة أهل السنة والجماعة: أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة رؤية حقيقية، يرونه بأعينهم رؤية حقيقية.

لماذا قلنا ها هنا: يرونه بأعينهم؟

لأن من أهل البدع من يقول: يرونه؛ لكن بقلوبهم لا بأعينهم؛ فاحتجنا إلى هذا التقييد؛ فنقول: يرونه رؤية حقيقية بأعينهم، ووردت في هذا أحاديث متواترة عن النبي ﷺ؛ بأن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة؛ جاء في الحديث: " إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ، كَمَا تَرَوْنَ

هَذَا القَمَرَ، لاَ تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ"[1]؛ يعني: لا تحتاجون إلى المزاحمة ويُضَمُّ بعضكم إلى بعض كي ترونه، أرأيتم كيف يكون الواحد منا في المشرق والآخر في المغرب؛ فيرى الكل القمر؟ هكذا سترون ربكم سبحانه وتعالى؛ بهذه الطريقة، فالتشبيه هنا للرؤية بالرؤية وليس للمرئي بالمرئي؛ يعني: ليس الله سبحانه وتعالى كالقمر، لا؛ لكن رؤية الله ستكون كما ترون أنتم القمر، هذا المقصود من هذا التمثيل في هذا الحديث.

وقال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ، إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} [القيامة: ٢٣]، {إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ}؛ هذا الشاهد؛ أي: تنظر إلى الله سبحانه وتعالى.

وقال الله سبحانه وتعالى في الكافرين: {كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ} [المطففين: ١٥]، فإذا حجب الكافرين في حال السخط؛ ففي حال الرضا يراه المؤمنون لا يحجبهم؛ هذا ما يفهم من الآية.

وقال عز وجل: { لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ} [يونس: ٢٦]، ما هي الزيادة؟ هي رؤية المؤمنين لربهم، فالحسنى: هي الجنة، والزيادة: رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة[2]، هذه الأدلة كلها تدل على أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة رؤية حقيقية عينية، وهذا ما عليه أهل الحق من أهل السنة والجماعة.

قال: **(وَأَن النَّبِي قد رأى ربه؛ فَإِنَّهُ مأثور عَن رَسُول الله ﷺ صَحِيح، رَوَاهُ قَتَادَة عَن عِكْرِمَة عَن ابْن عَبَّاس، وَرَوَاهُ الحكم بن أبان عَن عِكْرِمَة عَن ابْن عَبَّاس، وَرَوَاهُ عَليّ بن زيد عَن يُوسُف بن مهْرَان عَن ابْن عَبَّاس، والْحَدِيث عِنْدَنَا على ظَاهره كَمَا جَاءَ عَنِ**

١- أخرجه البخاري (٧٤٣٤)، ومسلم (٦٣٣).

٢- أخرج مسلم في صحيحه (١٨١): عَنْ صُهَيْبٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ "، وفي رواية: "ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ} [يونس: ٢٦]".

النَّبِي ﷺ، وَالْكَلَامُ فِيهِ بِدْعَةٌ، وَلَكِنْ نُؤْمِنُ بِهِ كَمَا جَاءَ على ظَاهِرِهِ، وَلَا نُنَاظِرُ فِيهِ أَحَدَاً)

قوله: **(الكلام فيه بدعة)** يعني: تحريفه عن معناه الحقيقي، تحريفه عن ظاهره بدعة محدث.

هل رأى النبي ﷺ ربه أم لا؟ هل رآه بعينيه أم رآه بقلبه فقط؟ هذا محل خلاف، جاء عن ابن عباس والإمام أحمد كلاماً مطلقاً كما هو هنا في هذه الرسالة؛ قال بأن النبي ﷺ قد رأى ربه، وما قال: رأى ربه بقلبه؛ بفؤاده، وإذا قال: رأى ربه؛ يعني: رآه بعينيه، هذا الظاهر عندنا؛ لكن إذا قيده تصير الرؤية بالقلب؛ يعني: اليقين.

فجاء عن الإمام أحمد هنا: الإطلاق، وجاء عنه التقييد، وجاء عن ابن عباس الإطلاق، وجاء عنه التقييد؛ فالبعض قال: مرادهم من ذلك المقيد؛ أي أنه رأى ربه بفؤاده، وجاء عن عائشة شيء واحد؛ وهو إنكار رؤية النبي ﷺ لربه تبارك وتعالى بعينيه.

فقال بعض أهل العلم: لا خلاف بين قول عائشة وقول ابن عباس؛ فعائشة تريد بذلك: أنه لم يره بعينيه، وابن عباس أراد أنه رآه بقلبه؛ ولا خلاف بين هذين القولين.

وقال البعض: لا؛ بل الخلاف موجود؛ فابن عباس أراد أنه رآه بعينيه.

هذا الخلاف في المسألة، وهذا ما ذكر فيها أهل العلم.

والصواب في المسألة- والله أعلم-: أنه رآه بقلبه؛ كما جاء مقيداً عن ابن عباس رضي الله عنه[1]، والقول فيه ما قالته عائشة رضي الله عنها[2]، لحديث أبي ذر، قَالَ: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم: هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ قَالَ: «نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ»[3] وهذا يؤيده ما ورد من أحاديث صحيحة تدل على أن الله سبحانه وتعالى لا يراه أحد في الدنيا، وإنما رؤيته تكون يوم القيامة، والله أعلم.

ثم قال المؤلف رحمه الله: **(وَالْإِيمَانُ بِالميزَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ كَمَا جَاءَ: "يُوْزَنُ العَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ فَلَا يَزِنُ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ"، وَتُوْزَنُ أَعْمَالُ العِبَادِ؛ كَمَا جَاءَ فِي الأَثَرِ، والإِيمَانُ بِهِ والتَّصْدِيقُ بِهِ، والإِعْرَاضُ عَمَّنْ رَدَّ ذَلِكَ، وَتَرْكُ مُجَادَلَتِهِ)**

من عقيدة أهل السنة والجماعة أنهم يؤمنون بالميزان، والميزان: هو الذي توزن به الأشياء.

وهل توزن الأعمال أم توزن الصحف أم يوزن الأشخاص؛ جاءت أحاديث تدل على أن هذه الثلاثة توزن؛ فالحديث الذي ذكره المؤلف؛ قال فيه: "يوزن العبد يوم القيامة فلا يزن جناح بعوضة"[4]؛ هذا يثبت الميزان أولاً، وثانياً: يثبت أن العبد نفسه يوزن.

وجاء في حديث آخر؛ وهو حديث ابن مسعود لما ارتقى شجرة فرأى الصحابة دقة ساقي ابن مسعود، وكانت دقيقة رفيعة؛ فضحك الصحابة منهما؛ فقال النبي ﷺ:

١- أخرجه مسلم (١٧٦).

٢- قَالَتْ: «مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى رَبَّهُ، فَقَدْ كَذَبَ، وَهُوَ يَقُولُ»: {لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ} [الأنعام: ١٠٣]". أخرجه البخاري (٧٣٨٠)، ومسلم (١٧٧). انتهى يعني لا تدركه الأبصار في الدنيا.

٣- أخرجه مسلم (١٧٨).

٤- أخرجه البخاري (٤٧٢٩) ، ومسلم (٢٧٨٥) من حديث أبي هريرة: عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ: قَالَ: «إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، اقْرَءُوا: {فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا} ».

وفي رواية عند البزار(٨١٧٣): عَن أَبِي هُرَيرة، عَن النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيه وَسَلَّم قال: "يُؤتَى بالطَويلِ العَظيمِ يومَ القيامةِ فيُوزن فلا يَزِنُ عندَ اللهِ جَناحَ بَعُوضةٍ".

"أتعجبون من دقة ساقي ابن مسعود؛ فإنهما أثقل في الميزان من جبل أحد"[1]؛ فهذا أيضاً يدل على أن الأشخاص أنفسهم يوزنون.

وأما ما يدل على أن الأعمال توزن؛ فقد جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: "كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ العَظِيمِ". متفق عليه[2]؛ هذا يدل على أن العمل يوزن.

ولا أعلم خلافاً في أن الأعمال توزن، وهذا الحديث يدل على ذلك، ويدل أيضاً على الميزان وأنه موجود.

وأما السجلات والصحف؛ فقد جاء فيها حديث البطاقة؛ قال النبي ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَسْتَخْلِصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا، كُلُّ سِجِلٍّ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَتْكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ؟ قَالَ: لَا، يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَلَكَ عُذْرٌ، أَوْ حَسَنَةٌ؟ فَيُبْهَتُ الرَّجُلُ، فَيَقُولُ: لَا، يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى، إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً وَاحِدَةً، لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ، فَتُخْرَجُ لَهُ بِطَاقَةٌ، فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: أَحْضِرُوهُ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ؟ فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ "، قَالَ: «فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كِفَّةٍ»، قَالَ: «فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ، وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ، وَلَا يَثْقُلُ شَيْءٌ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»[3]، هذا الحديث يدل على أن السجلات والصحف

١- أخرجه أحمد (٣٩٩١)، وابن حبان (٧٦٩)؛ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، أَنَّهُ كَانَ يَجْتَنِي سِوَاكًا مِنَ الْأَرَاكِ، وَكَانَ دَقِيقَ السَّاقَيْنِ، فَجَعَلَتِ الرِّيحُ تَكْفَؤُهُ، فَضَحِكَ الْقَوْمُ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مِمَّ تَضْحَكُونَ؟» قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ، فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ».

٢- البخاري (٦٦٨٢)، ومسلم (٢٦٩٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

٣- أخرجه أحمد (٦٩٩٤)، والترمذي (٢٦٣٩)، وابن ماجه (٤٣٠٠) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

توزن، ويدل على الميزان، ويدل على أمر ثالث؛ وهو أن الميزان له كفتان؛ هذا ما نستفيده من الحديث الأخير.

إذاً نؤمن بالميزان بالأحاديث التي ذكرت.

وجاء ذكر الميزان في كتاب الله؛ قال الله تبارك وتعالى: {وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ} [الأنبياء: ٤٧]، وقال أيضاً: {وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ} [المؤمنون: ١٠٣]، وقال {فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ (٦) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (٧) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (٨) فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ} [القارعة: ٦-٩]؛ هذا كله يدل على إثبات الميزان وأن أعمال بني أدم توزن.

أنكر الميزان بعض أهل البدع، بشبهات عقلية لا وزن لها، وأحاديثه متواترة، والآيات القرآنية واضحة الدلالة في إثباته. والله أعلم

ثم قال المصنف رحمه الله: **(وَأَنَّ اللهَ تَعَالَى يُكَلِّمُ الْعِبَادَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَيْسَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، والإِيمَانُ بِهِ، والتَّصْدِيقُ بِهِ)**

هذا أيضاً من عقيدة أهل السنة؛ أن الله تبارك وتعالى يكلم عباده يوم القيامة، وقد تقدم الكلام في صفة كلام الله تبارك وتعالى، وها هنا إضافة: أن الله تبارك وتعالى يكلم العباد، وقد جاء في الحديث: "ما منكم من أحدٍ إلَّا سَيُكَلِّمُهُ ربه، ليس بينه وبينه ترجمان" وهذا الحديث متفق عليه[1].

١- البخاري (٦٥٣٩)، ومسلم (١٠١٦) عن عدي بن حاتم رضي الله عنه.

ثم قال المؤلف رحمه الله: **(وَالْإِيمَانُ بِالْحَوْضِ، وَأَنَّ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ حَوْضاً يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتُهُ، عَرْضُهُ مِثْلَ طُولِهِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، آنِيَتُهُ كَعَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ؛ على مَا صَحَّتْ بِهِ الْأَخْبَارُ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ)**

لو تأملت هذه الأشياء التي يذكرها المؤلف رحمه الله؛ لوجدتها كلها أمور غيبية، إنما نعتمد في الإيمان بها على ما جاء في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ فقط، وهذه الأمور الغيبية هي التي كثر إنكارها من أهل البدع والضلال.

الحوض: هو مجمع الماء- هذا أصله- مكان يجتمع فيه الماء يسمى حوضاً، والمراد به هنا: حوض النبي ﷺ؛ فالنبي ﷺ له حوض خاص به، وجاء في حديث ضعيف: "أن لكل نبي حوضاً"[1].

قوله: **(والإيمان بالحوض)** وقد ذكرنا معنى الحوض، وأن المراد بالحوض حوض النبي ﷺ.

وأدلة الحوض كثيرة أيضاً؛ منها قول النبي ﷺ: «حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ المِسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فَلاَ يَظْمَأُ أَبَدًا». متفق عليه[2].

حوضي مسيرة شهر؛ أي: إذا سار الراكب على جمله مدة شهر كامل يصل إلى آخره؛ يركب على دابته ويبدأ من أول الطريق ويسير شهراً كاملاً حتى يصل إلى آخره؛ فهو كبير جداً.

١- أخرجه الترمذي (٢٤٤٣) عن الحسن عن سمرة رضي الله عنه.
وقال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ، وَقَدْ رَوَى الأَشْعَثُ بْنُ عَبْدِ المَلِكِ، هَذَا الحَدِيثَ عَنِ الحَسَنِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مُرْسَلًا وَلَمْ يَذْكُرْ فِيهِ عَنْ سَمُرَةَ وَهُوَ أَصَحّ". وشواهده لا تقويه.
٢- البخاري (٦٥٧٩)، ومسلم (٢٢٩٢) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

ماؤه أبيض من اللبن؛ هذا في لونه.

وريحه أطيب من المسك؛ وهذا في رائحته.

كيزانه؛ يعني: آنيته؛ وهي الكؤوس التي يشرب بها.

كنجوم السماء؛ أي: عدداً؛ عددها كثير جداً، فكيزانه مثل نجوم السماء.

من شرب منه فلا يظمأ بعدها أبداً، ثم بعد ذلك يكون شرب أهل الجنة للمتعة فقط.

والحوض موجود الآن، ودليل وجوده قول النبي ﷺ لأصحابه: "إني والله لأنظر إلى حوضي" وهو حديث متفق عليه[1]، فالحوض موجود الآن، والنبي ﷺ عندما كان موجوداً كان ينظر إليه.

قال المؤلف رحمه الله: **(والإِيمانُ بِعَذابِ القَبْرِ)**

وهذا أيضاً أمر غيبي.

قال: **(وَأَن هَذِهِ الْأُمَّةَ تُفْتَنُ فِي قُبُورِها، وتُسْأَلُ عَنِ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ وَمَنْ رَبُّهُ وَمَنْ نَبِيُّهُ، وَيَأْتِيهِ مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ؛ كَيْفَ شَاءَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَكَيْفَ أَرَادَ، وَالْإِيمَانُ بِهِ والتَّصْديقُ بِهِ)**

هذا أيضاً من عقيدة أهل السنة والجماعة.

وهذه المسألة؛ وهي: مسألة إثبات عذاب القبر، قد أجمع عليها أهل السنة والجماعة، وأحاديثها متواترة تواتراً معنوياً.

والتواتر قسمان: تواتر لفظي، وتواتر معنوي.

١- البخاري (١٣٤٤)، ومسلم (٢٢٩٦) عن عقبة بن عامر رضي الله عنه.

المتواتر: هو الحديث يرويه جمع عن جمع، يستحيل تواطؤهم على الكذب من أوله إلى آخره، ويكون مستندهم الحس؛ هذا تعريف المتواتر في أصله.

أما المتواتر اللفظي؛ فهو أن يأتي نفس لفظ الحديث من طرق كثيرة، مثلاً حديث: "من قال علي ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار" أو: "من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار"؛ هذا الحديث قد جاء متواتراً؛ رواه جمع عن جمع من أوله إلى آخره ويستحيل تواطؤهم على الكذب، وكان مستند الصحابي الذي نقله هو السماع من النبي ﷺ، هذا يسمى متواتراً؛ هذا معنى المتواتر: يرويه جمع عن جمع من أول الإسناد إلى آخره، وهؤلاء الجمع يستحيل أن يتواطؤوا أو أن يتفقوا على أن يكذبوا في هذا الخبر أو يخطئوا فيه، ويكون مستند الطبقة الأولى؛ وهي طبقة الصحابة في الحديث؛ يكون أخذهم للخبر الذي ينقلونه مستندهم في ذلك الحس؛ أي: أنهم رأوه أو سمعوه، مستندهم الحس لا الأخبار الزائفة؛ فهذا يكون متواتراً؛ فالمتواتر اللفظي: هو أن يأتي بنفس اللفظ يرويه جمع عن جمع ويرويه هؤلاء الجمع بنفس اللفظ؛ من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار؛ هكذا يرويه أنس بن مالك، ويرويه مثلاً أبو هريرة: "من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار"، يرويه ابن عباس: "من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار"؛ هذا يسمى متواتراً لفظياً.

وأما المتواتر المعنوي؛ فالأحاديث تكون مختلفة في اللفظ؛ لكنها تتفق على المعنى الذي نريده، ومثاله هو ما بين أيدينا وهو حديث عذاب القبر، جاء في حديث أن النبي ﷺ مر على قبرين؛ فقال: "إنهم يعذبان، وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستنزه

من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة" متفق عليه[1]؛ هذا الحديث الأول نستخرج منه أن الإنسان يعذب في قبره؛ إذاً نثبت عذاب القبر.

وجاء في حديث آخر أن النبي ﷺ علمنا في آخر صلاتنا أن نقول: "وأعوذ بالله من عذاب القبر" متفق عليه[2]، فالمتن مختلف، هذا حديث وهذا حديث آخر؛ لكن هذا فيه إثبات عذاب القبر، وهذا أيضاً فيه إثبات عذاب القبر.

وحديث ثالث: عَنْ عَائِشَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّ يَهُودِيَّةً جَاءَتْ تَسْأَلُهَا، فَقَالَتْ لَهَا: أَعَاذَكِ اللَّهُ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، فَسَأَلَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: أَيُعَذَّبُ النَّاسُ فِي قُبُورِهِمْ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَائِذًا بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ» متفق عليه[3]؛ فالحديث مختلف؛ لكنه أيضاً يدل على عذاب القبر.

وجاء في حديث آخر، وهو حديث البراء بن عازب، يهمنا هنا أن نذكر هذا الحديث بطوله؛ لأن له علاقة بتتمة كلام الإمام أحمد في كتابه؛ قال البراء بن عازب رضي الله عنه: "خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي جَنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ وَلَمَّا يُلْحَدْ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ كَأَنَّمَا عَلَى رؤوسنا الطَّيْرُ، وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ بِهِ فِي الْأَرْضِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «اسْتَعِيذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ» مَرَّتَيْنِ، أَوْ ثَلَاثًا، زَادَ فِي حَدِيثِ جَرِيرٍ «هَاهُنَا» وَقَالَ: " وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ خَفْقَ نِعَالِهِمْ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ حِينَ يُقَالُ لَهُ: يَا هَذَا، مَنْ رَبُّكَ وَمَا دِينُكَ وَمَنْ نَبِيُّكَ؟ " قَالَ هَنَّادٌ: قَالَ: " وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللَّهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِيَ الْإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ " قَالَ: " فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَيَقُولَانِ: وَمَا يُدْرِيكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ فَآمَنْتُ بِهِ

١- البخاري (٢١٦)، ومسلم (٢٩٢) عن ابن عباس رضي الله عنه.
٢-البخاري (٨٣٢)، ومسلم (٥٨٩) عن عائشة رضي الله عنها.
٣- البخاري (١٠٤٩)، ومسلم (٩٠٣).

وَصَدَّقْتُ «زَادَ فِي حَدِيثِ جَرِيرٍ» فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا} [إبراهيم: ٢٧] الآية، قَالَ: " فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ قَدْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ " قَالَ: «فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا»، قَالَ: «وَيُفْتَحُ لَهُ فِيهَا مَدَّ بَصَرِهِ» قَالَ: «وَإِنَّ الْكَافِرَ» فَذَكَرَ مَوْتَهُ قَالَ: " وَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ: لَهُ مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ هَاهْ، لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ، لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ، لَا أَدْرِي، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ كَذَبَ، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ النَّارِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ " قَالَ: «فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا» قَالَ: «وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ"[1].

انطلقوا مع النبي ﷺ وكان معهم أنصاريٌّ -أي رجل من الأنصار- قد مات، فذهبوا ليدفنوه، فلم يكن القبر قد تم حفره بعد، فجلس النبي ﷺ وجلس الصحابة حوله، وقال ﷺ لهم: استعيذوا بالله من عذاب القبر، استعيذوا بالله من عذاب القبر، ثم قال: إذا وضع العبد في قبره يأتيه ملكان، فيجلسانه فيقولان له: من ربك، وما دينك، وما تقول في هذا الرجل الذي بُعث فيكم أي محمد ﷺ، فإذا كان مؤمناً؛ قال: ربي الله وديني الإسلام ونبيي محمد ﷺ، وإذا كان غير ذلك قال: ها ها لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته.

أما الأول وهو المؤمن؛ فيقال له: من أين لك هذا، أو كيف علمت ذلك؟ يقول: قرأت كتاب الله وآمنت به وصدقت.

وأما الثاني؛ فيقول: ها ها، لا أدري، فيأتيه ملك فيضربه بمرزبّة تكون معه فيصير تراباً، ويصرخ صرخة يسمعه كل شيء إلا الثقلين، ثم يضغطه القبر ضغطةً تختلف

١- أخرجه أحمد (١٨٥٣٤)، وأبو داود (٤٧٥٣) وغيرهم.

أضلاعه، قال: وينادي منادٍ من السماء أنْ كذب عبدي فأفرشوه من النار وألبسوه من النار وافتحوا له فتحةً إلى النار.

هذا الحديث هو مستند ما ذكره المؤلف رحمه الله ههنا؛ قال: **(والإيمان بعذاب القبر)** فالأدلة التي ذكرناها كلها هذه أدلة متواترة تواتراً معنوياً؛ أي: أنها أحاديث مختلفة؛ ولكن كلها يدل على عذاب القبر؛ هذا معنى المتواتر تواتراً معنوياً.

قوله: **(وأن هذه الأمة تفتن في قبورها)** على الحديث الذي ذكرناه؛ فتُمتحن وتختبر في قبورها، تختبر وتمتحن في ماذا؟

في الله، وفي رسوله، وفي دين الإسلام؛ فلا بد على المرء أن يكون عارفاً بربه، يعرف بأنه موجود ويؤمن بذلك، ويؤمن بربوبيته، وألوهيته، وأسمائه وصفاته، ويؤمن بنبيه ﷺ، وأنه مبعوث من عند الله تبارك وتعالى بكتاب وبدين؛ فيصدقه في نبوّته، ويصدقه فيما يخبر به، ويطيعه فيما يأمر به، ولا يعصيه فيما ينهى عنه، ويعرف أيضاً دين الإسلام الذي أراده الله تبارك وتعالى منه؛ وهو الأوامر والنواهي التي وردت في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ؛ فهذه كلها هي دين الله تبارك وتعالى.

فيفتن الناس في قبورهم أي يختبرون ويمتحنون.

قوله: **(وتُسأل عن الإيمان والإسلام، ومن ربه ومن نبيه، ويأتيه منكر ونكير)** وهما الملكان اللذان يسألانه في قبره: من ربك، وما دينك، وماذا تقول في هذا النبي الذي بعث فيكم؟ **(كيف شاء الله عز وجل)** بالصورة التي يشاؤها ربنا تبارك وتعالى؛ يكون هذا كله **(وكيف أراد، والإيمان به والتصديق به)** وأهل البدع والضلال ينكرون مثل هذه الأمور؛ لأنها لا توافق أهواءهم وعقولاهم المعوجة.

ثم قال المؤلف رحمه الله: **(والإِيمَانُ بِشَفَاعَةِ النَّبِيِّ ﷺ لِقَوْمٍ يَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ بَعْدَمَا احْتَرَقُوا وَصَارُوا فَحْماً؛ فَيُؤْمَرُ بِهِمْ إلى نَهْرٍ عَلى بَابِ الجَنَّةِ -كَما جَاءَ في الأَثَرِ-، كَيْفَ شَاءَ اللهُ، وَكَما شَاءَ الله، إِنَّما هُوَ الإِيمَانُ بِهِ، والتَّصْدِيقُ بِهِ)**

الشفاعة في الاصطلاح: التوسط للغير لجلب منفعة أو دفع مضرّة.

وشفاعة النبي ﷺ ثابتة في أحاديث صحيحة، وللنبي ﷺ أربع شفاعات:

الشفاعة الأولى: الشفاعة العظمى: وهي الشفاعة في الناس في الموقف بعد أن يُبعَث الناس من قبورهم ويُخرَجون ويجتمعون في عرَصات القيامة- والعرصات؛ هي الساحات الواسعة-، فيجتمعون في عرصات القيامة، وهناك تقترب منهم الشمس قدر ميل، وإذا اقتربت الشمس منهم قدر ميل؛ كانوا في حرٍّ شديد وعذاب، فيسيل عرقهم بسبب قرب الشمس، حتى يصل منهم إلى مستويات مختلفة؛ فمنهم من يصل عرقه إلى كعبيه، ومنهم من يصل إلى ركبتيه، ومنهم من يُلجِمُه العرق إلجاماً- أي: يصل إلى فمه؛ وهو محل اللجام-؛ فيشتدّ الأمر عليهم جداً ويَعسُرُ، ويريدون فرجاً مِن هذا الذي هم فيه، فيبحثون؛ فلا يجدون إلا الأنبياء أقرب الناس إلى ربهم تبارك وتعالى، فيأتون إلى آدم فيقول: نفسي نفسي، ويذكر ذنباً، ثم يأتون نوحاً؛ فيقول: نفسي نفسي، ويذكر ذنباً، ويأتون إلى موسى وعيسى؛ حتى يقول لهم في النهاية: اذهبوا إلى محمد؛ فيأتون إلى النبي ﷺ، فيقول: "أنا لها أنا لها"، فيذهب ويسجد عند عرش الرحمن، ويذكر أذكاراً فيعظم الله ويدعوه، ثم يقول له ربنا تبارك وتعالى: "سل تعطَه واشفع تُشفَّع"، فيشفع النبي ﷺ في أن يبدأ الحساب، فيبدأ الحساب بعد ذلك؛ هذه الشفاعة خاصة بالنبي ﷺ؛ وهي الشفاعة العظمى.

الشفاعة الثاني: الشفاعة لأهل الجنة ليدخلوا الجنة؛ فلا يدخل أحدٌ الجنة إلا بعد أن يشفع النبي ﷺ بذلك؛ فيكون هو أول من يفتح باب الجنة؛ جاء في الحديث الصحيح؛ قال: "فيقوم المؤمنون حتى تُزلَف لهم الجنة- أي: تُقرَّب- فيأتون آدم...، إلى أن قال: "فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا فَيَقُومُ فَيُؤْذَنُ لَهُ"[1]، يؤذن له: أي بفتح الجنة.

الشفاعة الثالثة: هي الشفاعة فيمن دخل النار أن يَخرج منها؛ وهذه الشفاعة ليست خاصة بالنبي ﷺ؛ فالأنبياء يشفعون، والصالحون يشفعون، والشهداء أيضاً يشفعون؛ كلهم يشفع في إخراج أصحاب المعاصي والذنوب من النار؛ لكن لا يخرج من النار إلا الموحّد، أما الكافر؛ فلا يخرج من النار، وهذه الشفاعة إنما تكون للمؤمنين فقط؛ وهي الشفاعة في أصحاب الكبائر الذين دخلوا النار؛ فالنبي ﷺ يقول: "شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي"[2]، وجاء في الحديث أيضاً: "يخرج قوم من النار بشفاعة محمد فيدخلون الجنة ويُسمَّون الجهنّميين"[3]، وأحاديث الشفاعة كثيرة في هذا.

وأما الشفاعة الرابعة والأخيرة؛ وهي أيضاً خاصة بالنبي ﷺ؛ وهي شفاعته في عمه أبي طالب؛ وأبو طالب وإن مات كافراً، إلا أنه بوقوفه مع النبي ﷺ ومساعدته له على نشر دعوته ودينه؛ أذن الله تبارك وتعالى لنبيّه ﷺ بالشفاعة فيه، فيشفع فيه، فَيُخرج من قعر جهنم إلى ضحضاح منها؛ أي: إلى أعلاها، وقال فيه النبي ﷺ: "إن أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة لرجل توضع في أخمص قدميه جمرة؛ يغلي منها دماغه" متفق عليه[4]؛ هذا هو أبو طالب، وبعد الشفاعة وصل إلى هذه الدرجة. نسأل الله العافية والسلامة.

١- أخرجه مسلم (١٩٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه.
٢- أخرجه أحمد (١٣٢٢٢)، وأبو داود (٤٧٣٩)، والترمذي (٢٤٣٥) عن أنس رضي الله عنه.
٣- البخاري (٦٥٥٩) عن أنس بن مالك، و(٦٥٦٦) عن عمران بن حصين رضي الله عنهما.
٤- البخاري (٦٥٦١)، ومسلم (٢١٣) عن النعمان بن بشير رضي الله عنه.

هذه هي أنواع الشفاعة التي جاءت في الأحاديث الصحاح؛ وكل هذا نؤمن به ونصدّق، وينكره الخوارج والمعتزلة الذين يكفّرون أصحاب الكبائر، أو يقولون هم في منزلة بين المنزلتين.

أما الخوارج؛ فيقولون: صاحب الكبيرة كافر في الدنيا، وهو مخلَّد في نار جهنم، فإذا دخلها؛ لا يخرج منها.

وأما المعتزلة؛ فيقولون: هو في الدنيا في منزلة بين المنزلتين؛ لا هو مؤمن ولا هو كافر؛ ولكنه في الآخرة مخلّد في نار جهنم، فهؤلاء ينكرون الشفاعة لأصحاب الكبائر؛ لأنها لم توافق أهواءهم التي ذكرناها لكم . فهي تخالف عقيدتهم وتبطلها في المؤمن صاحب الكبيرة الذي يدخل النار.

ثم قال المؤلف رحمه الله: **(والإِيمانُ أَنَّ المَسِيحَ الدَّجَّالَ خَارِجٌ، مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ: "كَافِرٌ"، والأَحَادِيثُ التي جَاءَتْ فِيهِ، والإِيمانُ بِأَنَّ ذَلِكَ كَائِنٌ)**

قوله: **(والإيمان أن المسيح الدجال خارج)** أيضاً أمر غيبيٌّ؛ كلها أمور غيبية.

قوله: **(مكتوب بين عينيه كافر، والأحاديث التي جاءت فيه، والإيمان بأن ذلك كائن)**؛ هذا أيضاً من عقيدة أهل السنة والجماعة؛ أن هذا الدجال يخرج، وهو رجل عينه عوراء، قال النبي ﷺ: "إنه أعور العين اليمنى"[1] ومكتوب على جبهته كافر، لكن لا يقرؤها إلا المؤمنون[2]، وجاء عن النبي ﷺ أحاديث كثيرة تحذّر منه، وقد قال النبي

١- أخرجه البخاري (٣٤٣٩)، ومسلم (١٦٩) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: ذَكَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَوْمًا بَيْنَ ظَهْرَيِ النَّاسِ المَسِيحَ الدَّجَّالَ، فَقَالَ: " إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، أَلاَ إِنَّ المَسِيحَ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ العَيْنِ اليُمْنَى، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ".

٢- أخرجه البخاري (٧١٣١)، ومسلم (٢٩٣٣) عن أنس بن مالك قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا بُعِثَ نَبِيٌّ إِلَّا أَنْذَرَ أُمَّتَهُ الأَعْوَرَ الكَذَّابَ، أَلاَ إِنَّهُ أَعْوَرُ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، وَإِنَّ بَيْنَ عَيْنَيْهِ مَكْتُوبٌ كَافِرٌ»، وعند مسلم زيادة: "يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُسْلِمٍ". وفي حديث حذيفة عنده (٢٩٣٤) زيادة: "يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ، كَاتِبٍ وَغَيْرِ كَاتِبٍ".

ﷺ في الدجال: " ما من نبي إلا وقد أنذر أمته الأعور الكذاب"[1]؛ وذلك لعظم فتنته- أعاذنا الله منها- فإن لهذا الرجل فتنة عظيمة وشر كبير، حتى إنه إذا دعا كنوز الأرض أن تخرج خرجت، وإذا قال للسماء أمطري أمطرت[2]؛ فهذه فتنة عظيمة على الناس، فالذي يكون إيمانه ضعيفاً أو لا علم عنده؛ يُفتَن بهذا الرجل، والأحاديث التي جاءت فيه كثيرة؛ ومنها هذا الذي ذكرناه؛ أن النبي ﷺ قال: "إنه أعور العين اليمنى"، وجاء أيضاً في الحديث أن النبي ﷺ علّمنا أن نقول في آخر صلاتنا: "أعوذ بالله من فتنة المسيح الدجال"[3]؛ ففتنته عظيمة وشرّه كبير.

قال المؤلف رحمه الله أيضاً: **(وَأَنَّ عِيسى ابن مَرْيَمَ عليه السلام يَنْزِلُ؛ فَيَقْتُلُهُ بِبَابِ لُدٍّ)**

جاء في الحديث: أن الدجال هذا يخرج ويتّبعه اليهود ويتّبعه المنافقون والكفرة ويقاتلون المسلمين، فينزل عيسى بن مريم ويدركه عند باب لُد- ولد مدينة في فلسطين-، يدركه

١- أخرجه البخاري (٧٤٠٨)، ومسلم (٢٩٣٣).

٢- أخرجه مسلم (٢٩٣٧) عن النواس بن سمعان، قال: ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة، فخفض فيه ورفع، حتى ظننناه في طائفة النخل، فلما رحنا إليه عرف ذلك فينا، فقال: «ما شأنكم؟» قلنا: يا رسول الله ذكرت الدجال غداة، فخفضت فيه ورفعت، حتى ظننناه في طائفة النخل، فقال: «غير الدجال أخوفني عليكم، إن يخرج وأنا فيكم، فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج ولست فيكم، فامرؤ حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم، إنه شاب قطط، عينه طافئة، كأني أشبهه بعبد العزى بن قطن، فمن أدركه منكم، فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف، إنه خارج خلة بين الشأم والعراق، فعاث يمينا وعاث شمالا، يا عباد الله فاثبتوا» قلنا: يا رسول الله وما لبثه في الأرض؟ قال: «أربعون يوما، يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم» قلنا: يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة، أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: «لا، اقدروا له قدره» قلنا: يا رسول الله وما إسراعه في الأرض؟ قال: "كالغيث استدبرته الريح، فيأتي على القوم فيدعوهم، فيؤمنون به ويستجيبون له، فيأمر السماء فتمطر، والأرض فتنبت، فتروح عليهم سارحتهم، أطول ما كانت ذرا، وأسبغه ضروعا، وأمده خواصر، ثم يأتي القوم، فيدعوهم فيردون عليه قوله، فينصرف عنهم، فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم، ويمر بالخربة، فيقول لها: أخرجي كنوزك، فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل، ثم يدعو رجلا ممتلئا شبابا، فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض، ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه، يضحك....." الحديث.

٣- أخرجه البخاري (١٣٧٧)، ومسلم (٥٨٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو ويقول: «اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، ومن عذاب النار، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال».

عند بابها؛ فيقتله هناك، قال النبي ﷺ: "فبينما هو كذلك"- أي: بينما الدجال يفسد في الأرض ويقتل أشخاصاً ويردّهم إلى الحياة في ظاهر الحال- قال: "فبينما هو كذلك؛ إذ بعث الله المسيح بن مريم"- وهو عيسى- "فينزل عند المنارة البيضاء شرقيَّ دمشق واضعاً كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدر منه جمان اللؤلؤ، فلا يحل لكافر يجد ريح نفَسه؛ إلا مات... الحديث"، وفي الحديث نفسه قال: "إنه يدرك الدجال بباب لد فيقتله هناك"، والحديث في "صحيح مسلم"[1].

ثم قال المؤلف رحمه الله: **(والإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، يَزِيدُ وَيَنْقُصُ؛ كَمَا جَاءَ فِي الخَبَرِ: "أَكْمَلُ المُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا"[2])**

الإيمان في عقيدة أهل السنة والجماعة: هو اعتقاد وقول وعمل.

والاعتقاد يشمل التصديق ويشمل أيضاً كل الأعمال القلبية.

والقول معناه: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

وأما أعمال الجوارح؛ فالمقصود بها: كل عمل يعمله المرء بيديه ورجليه؛ كالصلاة والصيام والزكاة والحج وغير ذلك من أعمال الجوارح؛ فهذه كلها عند أهل السنة والجماعة من الإيمان، فالإيمان والدين هو كل هذه الأشياء التي ذكرناها.

ودليل ذلك قول النبي ﷺ: "الإيمان بضع وسبعون شعبة؛ فأفضلها: قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان"[3]؛ فلا إله إلا الله من الإيمان وهي أعلى شعب الإيمان، وأدناها- أي: أقلها-: إماطة الأذى عن الطريق؛

١- (٢٩٣٧) عن النواس بن سمعان.

٢- أخرجه أحمد (٧٤٠٢)، وأبو داود (٤٦٨٢)، والترمذي (١١٦٢) عن أبي هريرة.

٣- أخرجه البخاري (٩) ، ومسلم (٣٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه، ولفظ البخاري: "الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ"

أي إزالة الأذى؛ وهو إزالة ما يضر الناس وما يؤذيهم عن طريقهم، والحياء شعبة من الإيمان.

فلا إله إلا الله: قول، وإماطة الأذى عن الطريق: فعل؛ فعل الجوارح، وأما الاعتقاد فجاء فيه الحياء، والحياء شعبة من الإيمان، وهو من أعمال القلوب؛ فهذه الثلاثة هي من الإيمان.

وخالفت في ذلك طائفتان:

طائفة المرجئة؛ قالوا بأن أعمال الجوارح ليست من الإيمان؛ فنفَوا أن تكون أعمال الجوارح داخلة في مسمّى الإيمان، والمرجئة بجميع طوائفها اتّفقت على هذا القول؛ أن أعمال الجوارح ليست داخلة في الإيمان، ثم اختلفوا؛ فبعضهم قال: الإيمان هو التصديق، وبعضهم قال: الإيمان هو المعرفة، وبعضهم قال: الإيمان هو التصديق والقول باللسان فقط؛ ولكنهم جميعاً اتفقوا على أن أعمال الجوارح غير داخلة في مسمى الإيمان.

وقد ردّ عليهم أهل السنة والجماعة بالحديث الذي ذكرناه، وكذلك بقول الله تبارك وتعالى: {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ} [البينة: ٥]؛ فسمّى هذا كله ديناً- وهو الإيمان-، سمى إخلاص العمل لله تبارك وتعالى، وسمى إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة؛ كلها سماها ديناً؛ أي: إيماناً، إذاً فإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة من الإيمان؛ فأعمال الجوارح داخلة في الإيمان.

والحديث الذي ذكرناه يدل على ذلك: "الإيمان بضع وسبعون شعبة فأفضلها لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق" وإماطة الأذى عن الطريق عمل من أعمال الجوارح؛ ومع ذلك أدخله النبي ﷺ في الإيمان.

كذلك قال الله تبارك وتعالى: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ} [البقرة: ١٤٣] واتفق جميع علماء التفسير على أن المقصود بإيمانكم هاهنا: الصلاة؛ فسمى الصلاة إيماناً؛ فإذاً أعمال الجوارح داخلة في مسمى الإيمان؛ وهذا أمر متفق عليه بين أهل السنة والجماعة.

والطائفة الثانية الخوارج، هؤلاء وإن أدخلوا أعمال الجوارح في الإيمان إلا أنهم قالوا: الإيمان جزء واحد إذا ذهب بعضه ذهب كله، يعني من ترك الزكاة وهي من الإيمان كفر، ومن ترك الصيام وهو من الإيمان كفر.. وهكذا، فكفروا بالكبائر.

قوله: **(والإيمان يزيد وينقص)** استدل المؤلف على أن الإيمان يزيد وينقص بقول النبي ﷺ: "أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً"[1]، فجعل المؤمنين يتفاوتون في الإيمان، وقد وردت آيات في كتاب الله تدل على أن الإيمان يزيد كقوله تبارك وتعالى: {أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا} [التوبة: ١٢٤]، و{لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ} [الفتح: ٤] وغير ذلك من الآيات؛ جمعها الإمام البخاري رحمه الله في كتاب الإيمان من صحيحه؛ "صحيح البخاري".

وزيادة الإيمان ونقصانه تنكره المرجئة وتنكره أيضاً الخوارج، فالخوارج وإن كانوا يقولون في تعريف الإيمان: بأنه اعتقاد بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح كما يقوله أهل السنة؛ إلا أنهم يختلفون عن أهل السنة بشيء وهو أن أعمال الجوارح عند أهل السنة إذا ذهب بعضها- إذا لم يكن هذا البعض مكفراً- لا يكفر الشخص به؛ كأن يترك الشخص مثلاً الصيام؛ فإنه لا يكفر عندهم، أو أن يترك عملاً واجباً آخر غير الصلاة- والصلاة حصل فيها خلاف بينهم-، فإذا ترك العبد الصيام أو ترك الزكاة أو ترك الحج أو غيرها من الواجبات؛ لا يكفر بذلك عند أهل السنة والجماعة.

١- أخرجه أحمد (٧٤٠٢)، وأبو داود (٤٦٨٢)، والترمذي (١١٦٢).

أما الخوارج؛ فعندهم إذا ارتكب العبد كبيرة من الكبائر؛ كفر، وعندهم الإيمان لا يتجزأ، إذا ذهب بعضه؛ ذهب كله، بمعنى أن الشخص إذا زنا أو سرق أو ترك زكاة أو ترك الحج؛ يكفر مباشرةً، أما عند أهل السنة والجماعة؛ فلا، عندهم وإن كانت هذه الأعمال من الإيمان؛ لكن إذا ذهب بعضها لا يكفر الشخص بذلك.

ويستدلون بالأدلة التي وردت في إقامة الحدود على من زنا ومن سرق، والنبي ﷺ لم يقتل أحداً، فلو كان هذا الفعل ردة؛ لقتلهم، وكذلك يستدلون بأحاديث الشفاعة التي فيها إخراج أصحاب الكبائر من النار؛ هذه تدل على أن أصحاب الكبائر ليسوا كفاراً، فلو كانوا كفاراً؛ ما خرجوا من النار.

قال المؤلف رحمه الله: **(وَمَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ؛ فَقَدْ كَفَرَ، وَلَيْسَ مِنَ الْأَعْمَالِ شَيْءٌ تَرْكُهُ كُفْرٌ؛ إِلَّا الصَّلَاةَ، مَنْ تَرَكَهَا فَهُوَ كَافِرٌ، وَقَدْ أَحَلَّ اللهُ قَتْلَهُ)**

ترك الصلاة إذا كان عن جحد لها؛ فهو كفر بإجماع علماء الإسلام، فمن جحدها وأنكرها أو أنكر وجوبها؛ فهو كافر خارج من ملة الإسلام بالإجماع.

وأما إذا كان ترك الصلاة عن تهاون وتكاسل؛ فهذا اختلف فيه العلماء على قولين:

فقول قال بكفره أيضاً، ويحتجون بقول النبي ﷺ: "العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر"[1]، و قوله "إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة "[2].

والقول الثاني: أن ترك الصلاة ليس بكفر مخرج من ملة الإسلام؛ بل هو كفر دون كفر؛ وهذا الثاني هو قول جمهور العلماء، والقول الأول هو قول جمهور الصحابة.

١- أخرجه أحمد (٢٢٩٣٧)، والترمذي (٢٦٢١)، والنسائي (٤٦٣)، وابن ماجه (١٠٧٩) عن بريدة الأسلمي رضي الله عنه.

٢- أخرجه مسلم (٨٢) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (لا حَظَّ في الإسلام لمن ترك الصلاة)[1] ولكل قوم دليل، وقد ذكر الكثير من الأدلة: الحافظ ابن القيم رحمه الله في كتابه "تارك الصلاة"، والخلاف مشهور بين العلماء في هذه المسألة.

والإمام أحمد في رواية عنه قال بالتكفير، ورواية أخرى عنه بعدم تكفير تارك الصلاة، وههنا قال بكفره؛ قال: "وَمن ترك الصَّلَاة فقد كفر، وَلَيْسَ من الْأَعْمَال شَيْء تَركه كفر إِلَّا الصَّلَاة".

فمن ترك الصيام لا يكفر، ومن ترك الزكاة لا يكفر، من ترك الحج لا يكفر، وهكذا؛ إنما يكفر إذا ترك الصلاة فقط على خلاف معروف بين العلماء.

قوله: **(من تركها فهو كافر وأحل الله قتله)** تارك الصلاة يقام عليه الحد، وحده الضرب بالسيف، يقتل إذا أصر على تركها، يستتاب ويقال له صلِّ، فإذا أصر على الترك؛ يُقتل؛ ولكن هذا من عمل ولاة الأمور، لا من عمل أيِّ أحد؛ فإقامة الحدود من عمل ولاة الأمر؛ يعني: الحكام هم الذين يقيمون الحدود، وليس أيُّ أحد يقيم الحد؛ وإلا صارت الأمور فوضى؛ من أراد أن يقتل آخر ذهب وقتله وقال أقمت عليه الحد؛ لا يصلح هذا، الأمور تصبح فوضى وأهل المقتول يقومون على القاتل وأهل القاتل يدفعون عن صاحبهم وتدب الفوضى في البلاد؛ فالحدود من حق الولاة فقط.

قال المؤلف رحمه الله: **(وَخَيْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا: أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، ثُمَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، ثُمَّ عُثْمَانُ بنُ عَفَّانٍ؛ نُقَدِّمُ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةَ، كَمَا قَدَّمَهُمْ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، لم يَخْتَلِفُوا فِي ذَلِكَ، ثمَّ بَعْدَ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ: أَصْحَاب الشُّورَى الْخَمْسَة: عَليّ بن أبي طَالب، وَالزُّبَيْر، وعبد الرحمن بن عَوْف، وَسعد، وَطَلْحَة؛ كُلُّهُمْ يَصْلُحُ للخِلَافَةِ وَكُلُّهُمْ**

١- أخرجه مالك في الموطأ (٥١)، وعبد الرزاق في المصنف (٥٠١٠)، وابن أبي شيبة في المصنف (٣٠٣٦١) وغيرهم من طرق بأسانيد صحيحة.

إِمَامٌ، وَنَذْهَبُ فِي ذَلِك إِلَى حَدِيثِ ابْنِ عَمَرَ: كُنَّا نَعُدُّ وَرَسُولُ الله ﷺ حَيٌّ وَأَصْحَابُهُ مُتَوافِرونَ: أَبُو بكر ثمَّ عمر ثمَّ عُثْمَان ثمَّ نَسْكُتُ)

هذا ما عليه أهل السنة والجماعة؛ أن أفضل الناس بعد النبي ﷺ وبعد الأنبياء: هم أصحاب رسول الله ﷺ، وأفضل الصحابة: أبو بكر الصديق رضي الله عنه، ثم عمر الفاروق، ثم عثمان ذو النورين، ثم علي بن أبي طالب.

ويحتج أهل السنة بما ذكره الإمام أحمد رحمه الله؛ قال ابن عمر: (كنا نَعُدُّ ورسولُ الله ﷺ حي) وهذه سنة تقريرية؛ أقرَّهُم النبي ﷺ على ذلك (وأصحابه متوافرون) أي: موجودون: (أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم يسكتون)[1]، وربَّع أهل السنة بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ فهؤلاء هم الخلفاء الراشدون؛ كما جاء في الحديث عن النبي ﷺ؛ قال: "الخلافة في أمتي ثلاثون سنة"[2]، وهؤلاء هم الخلفاء الراشدون.

ويقدم في الأفضلية عند أهل السنة والجماعة: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي بن أبي طالب.

ثم بعدهم في الفضل بقية أصحاب الشورى وهم الذين ذكرهم، الزبير هو ابن العوام، وسعد هو ابن أبي وقاص، وطلحة هو ابن عبيد الله، سماهم أصحاب الشورى؛ لأن

١- أخرجه البخاري في صحيحه (٣٦٥٥)، عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: «كنا نخير بين الناس في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فنخير أبا بكر، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان رضي الله عنهم".
وفي رواية عنده (٣٦٩٧) قال: «كنا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم لا نعدل بأبي بكر أحدا، ثم عمر، ثم عثمان، ثم نترك أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، لا نفاضل بينهم". واللفظ المذكور في الشرح أخرجه أحمد في فضائل الصحابة (٥٨).
٢- أخرجه أحمد (٢١٩٢٨)، وأبو داود (٤٦٤٦، ٤٦٤٧)، والترمذي (٢٢٢٦) عن سفينة رضي الله عنه.

عمر رضي الله عنه قبل موته ترك أمر الخلافة من بعده شورى بين هؤلاء خاصة؛ لأن النبي ﷺ مات وهو عنهم راض كما قال[1].

وأما فضل الصحابة؛ فقد وردت فيه أدلة كثيرة في الكتاب والسنة، من ذلك قول الله تبارك وتعالى: {وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [التوبة: ١٠٠]، وقال: {لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا} [الفتح: ١٨]، وقال جل في علاه: {مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا} [الفتح: ٢٩]، وهذه الآية الأخيرة تدل على فضل أصحاب النبي ﷺ، واستدل بها الإمام مالك رحمه الله على كفر الشيعة الرافضة؛ استدل بقول الله تعالى: {ليغيظ بهم الكفار}، فلما كان الصحابة ممن يغتاظ منهم الشيعة الرافضة؛ قال الإمام مالك: فهم من الكفار؛ لأنهم يغتاظون من أصحاب النبي ﷺ، وهذه الآيات تدل على فضل أصحاب رسول الله ﷺ ومكانتهم.

وجاء في الأحاديث الشيء الكثير الذي يدل على هذا أيضاً؛ منها: قول النبي ﷺ: "لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً؛ ما بلغ مُدّ أحدهم ولا نصيفه" متفق

٣- أخرجه البخاري(١٣٩٢)، ومسلم(٥٦٧)، قال عمر: "إني لا أعلم أحداً أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض، فمن استخلفوا بعدي فهو الخليفة فاسمعوا له وأطيعوا، فسمى عثمان، وعليا، وطلحة، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص..." الأثر.

عليه[1]؛ لا مُدّ أحدهم ولا نصف المد هذا مما أنفقوا في سبيل الله، وقال ﷺ: "خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم..." متفق عليه [2]، ثم ذمّ القرون التي بعدهم، وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "اقتدوا باللذَين من بعدي: أبي بكر وعمر"[3].

وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: (إِنَّ اللَّهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ، فَابْتَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ، فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَجَعَلَهُمْ وُزَرَاءَ نَبِيِّهِ، يُقَاتِلُونَ عَلَى دِينِهِ، فَمَا رَأَى الْمُسْلِمُونَ حَسَنًا، فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ حَسَنٌ، وَمَا رَأَوْا سَيِّئًا فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ سَيِّئٌ) [4]، والمراد بالمسلمين هنا هم الصحابة.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: (لا تسبوا أصحاب محمد ﷺ؛ فلمقام أحدهم ساعة- يعني: مع رسول الله ﷺ- خير من عبادة أحدكم أربعين سنة) [5]؛ فهذا القول لابن عمر رضي الله عنهما يدل على فضل الصحابة ومكانتهم.

ولا يجوز الطعن فيهم ولا غمزهم البتة، وما وقع بينهم؛ نسكت عنه ولا نتدخل فيه أبداً؛ فالله سبحانه وتعالى قال في كتابه الكريم: {والَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ} [الحشر: ١٠]؛ فنحن مأمورون بأن نترحم على أصحاب النبي ﷺ، وأن

١- البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤١) عن أبي سعيد رضي الله عنه.

٢- البخاري (٢٦٥٢)، ومسلم (٢٥٣٣) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

٣-أخرجه أحمد (٢٣٢٤٥)، والترمذي (٣٦٦٢)، وابن ماجه (٩٧) عن حذيفة رضي الله عنه.

٤- أخرجه أحمد (٣٦٠٠).

٥- أخرجه أحمد في فضائل الصحابة (٢٠)، وابن ماجه (١٦٢) وغيرهما عن ابن عمر رضي الله عنه.

نمسك عن القول فيهم بأي شيء فيه أذى لهم؛ هذا موقف أهل السنة والجماعة من أصحاب رسول الله ﷺ.

قال رحمه الله: **(ثمَّ مِن بَعدَ أَصْحَابِ الشُّورَى أهلُ بدرٍ مِن الْمُهَاجِرِينَ، ثمَّ أهلُ بدرٍ من الْأَنْصَارِ من أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ، على قَدرِ الْهِجْرَة والسابقةِ أَولاً فأولاً)**

أهل بدر يعني الذين شاركوا في غزوة بدر، قال البراء صاحب رسول الله ﷺ: كنا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، نتحدث: «أن عدة أصحاب بدر على عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر، ولم يجاوز معه إلا مؤمن، بضعة عشر وثلاث مائة». أخرجه البخاري.

وقال: «استصغرت أنا وابن عمر يوم بدر، وكان المهاجرون يوم بدر نيفاً على ستين، والأنصار نيفاً وأربعين ومائتين» ". أخرجه البخاري

وعن علي رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما يدريك؟ لعل الله تعالى اطلع على أهل بدر فقال: اعلموا ما شئتم فقد غفرت لكم ". متفق عليه

وعن جابر، أن عبدا لحاطب جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكو حاطبا فقال: يا رسول الله ليدخلن حاطب النار، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كذبت لا يدخلها، فإنه شهد بدراً والحديبية». أخرجه مسلم

وعن معاذ بن رفاعة بن رافع الزرقي، عن أبيه، وكان أبوه من أهل بدر قال: جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: " ما تعدون أهل بدر فيكم، قال: مِن أفضل المسلمين أو كلمة نحوها، قال: وكذلك من شهد بدراً من الملائكة " أخرجه البخاري. وفي رواية خارج الصحيح: سأل جبريل النبي صلى الله عليه وسلم: كيف أهل بدر فيكم؟ قال: «خيارنا».

(ثمَّ أفضلُ النَّاس بعدَ هَؤُلَاءِ أَصْحَابُ رَسُول الله ﷺ، الْقرن الَّذِي بُعثَ فيهم، كلُّ مَن صَحِبهُ سَنةً أَو شَهراً أَو يَوْمًا أَو سَاعَةً أَو رَآهُ؛ فَهُوَ مِن أَصْحَابِهِ، لَهُ مِنَ الصُّحْبَةِ على قَدرِ مَا صَحِبهُ، وَكَانَت سَابِقَتُهُ مَعَه، وَسَمع مِنْهُ، وَنظر إِلَيْهِ نظرةً، فأدناهُم صُحْبَةً هُو أَفضلُ مِنَ الْقَرنِ الَّذِينَ لم يَروهُ، وَلَو لَقوا اللهَ بِجَمِيعِ الْأَعْمَالِ كَانَ هَؤُلَاءِ الَّذين صَحبُوا النَّبِي ﷺ ورأَوهُ وسَمعُوا مِنْهُ، وَمَنْ رَآهُ بِعَيْنِهِ وَآمَنَ بِهِ وَلَوْ سَاعَةً؛ أَفْضَلَ بِصُحْبَتِهِ مِنَ التَّابِعِينَ، وَلَو عمِلُوا كلَّ أَعمالِ الْخَيْر)

يعني أن الصحابة حتى من ليس له منهم إلا الرؤية رؤية النبي ﷺ فقط؛ هم أفضل من كل من جاء بعدهم مهما عملوا من أعمال صالحة.

لثناء الله عليهم في كتابه وقول النبيﷺ فيهم: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته» قال إبراهيم: «وكانوا يضربوننا على الشهادة، والعهد» متفق عليه.

وقوله: «لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم، ولا نصيفه» متفق عليه.

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : «إن الله نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد صلى الله عليه وسلم خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه، فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه، يقاتلون على دينه، فما رأى المسلمون حسناً، فهو عند الله حسن، وما رأوا سيئاً فهو عند الله سيء». أخرجه أحمد. ويعني بقوله: "فما رأى المسلمون حسناً"، الصحابة، وليس أي أحد من المسلمين.

وقال الخطيب البغدادي في "الكفاية" بعد أن ذكر الأدلة من القرآن والسنة على عدالة الصحابة وطهارتهم وفضلهم، قال: " والأخبار في هذا المعنى تتسع، وكلها مطابقة لما ورد في نص القرآن، وجميع ذلك يقتضي طهارة الصحابة، والقطع على تعديلهم ونزاهتهم"، إلى أن قال: "على أنه لو لم يرد من الله عز وجل ورسوله فيهم شيء مما ذكرناه لأوجبت الحال التي كانوا عليها، من الهجرة، والجهاد، والنصرة، وبذل المهج والأموال، وقتل الآباء والأولاد، والمناصحة في الدين، وقوة الإيمان واليقين؛ القطع على عدالتهم والاعتقاد لنزاهتهم، وأنهم أفضل من جميع المعدِّلين والمزِّكين الذين يجيؤون من بعدهم أبد الآبدين. هذا مذهب كافة العلماء ومن يعتد بقوله من الفقهاء" انتهى.

قال رحمه الله: **(والسَّمْعُ وَالطَّاعَةُ للأَئِمَّةِ وَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ؛ الْبَرِّ والفَاجِرِ، وَمَنْ وَلِيَ الْخِلَافَةَ وَاجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَيْهِ وَرَضُوا بِهِ، وَمَنْ غَلَبَهُمْ بِالسَّيْفِ حَتَّى صَارَ خَلِيفَةً وَسُمِّيَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ)**

السمع والطاعة للأئمة من المسلمين: إذا كان الحاكم مسلماً؛ فيجب السمع والطاعة له، وقد وردت في ذلك أحاديث كثيرة؛ نذكرها للأهمية.

جاء عن سلمة بن يزيد الجُعفي؛ أنه سأل رسول الله ﷺ؛ قال: يا نبي الله! أرأيت إن قامت علينا أمراء يسألونا حقهم ويمنعونا حقنا؛ فما تأمرنا ؟ فأعرض عنه، ثم سأله، فأعرض عنه، ثم سأله في الثانية أو الثالثة؛ فجذبه الأشعث بن قيس، وقال: "اسمعوا وأطيعوا؛ فإنما عليهم ما حمِّلوا وعليكم ما حملتم"[1]؛ فسيحاسبهم الله على ما كلفهم به، وسيحاسبكم الله على ما كلفكم به.

١- أخرجه مسلم (١٨٤٦).

وعن ابن عباس؛ قال: قال رسول الله ﷺ: "من رأى من أميره شيئاً يكرهه، فليصبر، فإنه من فارق الجماعة شبراً، فمات؛ إلا مات ميتة جاهلية" متفق عليه[١].

وعن أم سلمة زوج النبي ﷺ، عن النبي ﷺ؛ أنه قال: "إنه يستعمل عليكم أمراء فتعرفون وتنكرون، فمن كره؛ فقد برأ، ومن أنكر؛ فقد سلم" يعني: من أنكر بقلبه "ولكن من رضي وتابع"، قالوا: يا رسول الله ألا نقاتلهم؟ قال: "لا ما صلوا"[٢].

وعن عوف بن مالك أن النبي ﷺ قال: "خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، ويصلون عليكم وتصلون عليهم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم"، قيل: يا رسول الله أفلا ننابذهم بالسيف؟ فقال: "لا ما أقاموا فيكم الصلاة، وإذا رأيتم من ولاتكم شيئاً تكرهونه؛ فاكرهوا عمله ولا تنزعوا يداً من طاعة"[٣].

وعن عبد الله؛ قال: قال رسول الله ﷺ: "إنكم سترون بعدي أثرة وأموراً تنكرونها، قالوا: فما تأمرنا يا رسول الله؟ قال: أدّوا إليهم حقهم واسألوا الله حقكم"[٤].

وقال ﷺ: «فإنكم سترون بعدي أثرة، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض»[٥].

وعن جنادة بن أبي أمية؛ قال: دخلنا على عبادة بن الصامت وهو مريض، فقلنا حدِّثنا- أصلحك الله- بحديث ينفع الله به سمعته من رسول الله ﷺ، فقال: "دعانا رسول الله ﷺ فبايعناه، فكان فيما أخذ علينا: أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا

١- البخاري (٧٠٥٤)، ومسلم (١٨٤٩).
٢- أخرجه مسلم (١٨٥٤).
٣- أخرجه مسلم (١٨٥٥).
٤- أخرجه البخاري (٣١٦٣).
٥- أخرجه البخاري (٣٧٩٢)، ومسلم (١٨٤٥).

ومكرهنا، وعسرنا ويسرنا، وأثرة علينا وأن لا ننازع الأمر أهله، قال: إلا أن ترو كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان"[1].

هذه بعض من أحاديث قد وردت في سنة النبي ﷺ تدل على لزوم السمع والطاعة للإمام المسلم، إلا في معصية الله تبارك وتعالى، ولا يجوز الخروج عليه بالسيف إلَّا أن نرى كفراً بواحاً كما قال ﷺ.

وقوله: **(والسمع والطاعة للأئمة وأمير المؤمنين البر والفاجر)** للأحاديث التي ذكرناها.

قوله: **(وَمن ولي الْخلَافَة وَاجْتمعَ النَّاس عَلَيْهِ وَرَضوا بِهِ، وَمن غلبهم بِالسَّيْفِ حَتَّى صَار خَليفَة وَسمي أَمِير الْمُؤمنِينَ)** سواء كان هذا الخليفة قد وضعه الناس وأمَّروه، أو تسلّط عليهم بالسيف وغلب على الحكم بالسيف، فإذا كان مسلماً؛ فالسمع والطاعة له واجبة بالنصوص التي ذكرناها.

ثم قال المؤلف رحمه الله: **(والغَزْو مَاضٍ مَعَ الأُمَرَاءِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ؛ الْبَرُّ والفَاجِرُ، لَا يُتْرَكُ، وَقِسْمَةُ الْفَيْءِ وَإِقَامَةُ الْحُدُودِ إِلَى الْأَئِمَّة مَاضٍ، لَيْسَ لأَحَدٍ أَنْ يَطْعَنَ عَلَيْهِم، وَلَا يُنَازِعُهُمْ، وَدَفْعُ الصَّدَقَاتِ إِلَيْهِم جَائِزَةٌ نَافِذَةٌ، مَنْ دَفَعَهَا إِلَيْهِمْ؛ أَجْزَأَتْ عَنْهُ؛ بَرًّا كَانَ أَوْ فَاجِراً، وَصَلَاةُ الْجُمُعَةِ خَلْفَهُ وَخَلْفَ مَنْ وَلَّاهُ جَائِزَةٌ بَاقِيَةٌ تَامَّةٌ؛ رَكْعَتَيْنِ، مَنْ أَعَادَهُمَا؛ فَهُوَ مُبْتَدِعٌ، تَارِكٌ للآثَارِ، مُخَالِفٌ للسُّنَّةِ، لَيْسَ لَهُ مِنْ فَضْلِ الْجُمُعَة شَيْءٌ إذا لَمْ يَرَ الصَّلَاةَ خَلْفَ الْأَئِمَّةِ مَنْ كَانُوا؛ بَرَّهُمْ وفاجِرَهُمْ؛ فَالسُّنَّةُ بِأَنْ يُصَلِّي مَعَهم رَكْعَتَيْنِ، وَيدينُ بِأَنَّهَا تَامَّةٌ؛ لَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ مِنْ ذَلِكَ شَكٌّ)**

(الغزو ماضٍ مع الأمراء إلى يوم القيامة البر والفاجر لا يترك)؛ فالجهاد ماضٍ إلى قيام الساعة، وقد أمر الله تبارك وتعالى بالجهاد في سبيله، والجهاد لا بد له من أمير

١- أخرجه البخاري (٧٠٥٦)، ومسلم (١٧٠٩).

للمؤمنين يقوده، وإذا كان هذا الأمير مسلماً وأمر بالجهاد؛ فالجهاد معه واجب؛ لأنه أمير مسلم مكلف أيضاً بالجهاد، وعلى هذا مضى السلف الصالح رضي الله عنهم؛ يجاهدون مع الأمير سواء كان صالحاً أو طالحاً ما دام هذا الأمير مسلماً.

قوله: **(وقسمة الفيء، وإقامة الحدود إلى الأئمة ماضٍ)** الفيء: مال يؤخذ من الأعداء الكفار من غير قتال، يأخذه المسلمون؛ فيقسمه أمير المؤمنين أو الأمير أو الحاكم؛ هو الذي يقسم مال الفيء، فهذا من عمله الموكَّل هو به.

وكذلك إقامة الحدود للأئمة، وليس لأي أحد من الناس؛ لأن إقامة الحدود إذا وكِّلت للناس أفسد الناس في الأرض؛ فربما يقيم الشخص الحد على الآخر بدعوى باطلة ولا يكون ذاك مستحقاً لهذا العقاب، ثم حتى لو كان مستحقاً للعقاب؛ فإن عائلته وقبيلته ستغضب له وتقوم للقاتل، ويقوم أهل القاتل أيضاً ليعينوا صاحبهم؛ فتَدُبُّ الخلافات والشرور بين المسلمين؛ لذلك جُعلت إقامة الحدود من عمل ولي الأمر فقط.

(وقسمة الفيء وإقامة الحدود إلى الأئمة ماضٍ) أي: دائماً على هذا الحال.

قوله: **(ليس لأحد أن يطعن عليهم)** إذا أقاموا حدّ الله في الأرض وقسّموا الفيء؛ فليس لأحد أن يعترض على تقسيمهم أو إقامتهم للحدود؛ فهم موكَّلون بذلك، يجب عليهم أن يعملوا به بحق الله، بما يوصلهم إليه اجتهادهم، فإن أصابوا فلهم أجران وإن أخطؤوا فلهم أجر واحد كما قال النبي ﷺ: "إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب؛ فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ؛ فله أجر واحد" متفق عليه[1]، ولكن شرطه: أن يحكم ويريد بذلك أن يصل إلى حكم الله؛ يجتهد من أجل أن يصل إلى حكم الله، لا يجتهد بما تهوى نفسه فلا يتبع هواه.

١- البخاري (٧٣٥٢)، ومسلم (١٧١٦) عن عمرو بن العاص رضي الله عنه.

قال: **(ولا ينازعهم)** لا يخاصمهم ولا ينازعهم أحد فيما يقومون به من عمل.

قال: **(ودفع الصدقات إليهم جائزة نافذة)** دفع الصدقات؛ أي: دفع الزكاة- الزكاة الظاهرة كالإبل والبقر والغنم وأمثالها -كانت تُجْمَعُ من الناس ويأخذها النبي ﷺ يجمعها، ثم كان الأمر للأمراء من بعده؛ فالزكاة إذا جمعها ولي الأمر وأخذها من الناس؛ فقد أجزأت عنهم، وإذا دفعها الشخص لولي الأمر؛ فقد أجزأت عنه، ثم بعد ذلك أمر الحاكم إلى الله، إن وضعها في موضعها؛ أثيب على ذلك، وإن وضعها في غير موضعها؛ أثم على ذلك؛ لكن الذي دفع الزكاة؛ أجزأت عنه وهي نافذة صحيحة لا تُطلب منه مرة أخرى، فمن دفعها إلى الحاكم أجزأت عنه، سواء كان الحاكم براً- يعني: صالحاً-، أو كان فاجراً- يعني: كان طالحاً-، فإذا دفع الشخص زكاة ماله إلى الحاكم؛ فقد برأت ذمته.

قوله: **(وَصَلَاة الْجُمُعَة خَلفه وَخلف من ولاه جَائِزَة بَاقِيَة تَامَّة رَكْعَتَيْنِ)** صلاة الجمعة خلف الإمام سواء كان هذا الإمام صالحاً أو كان طالحاً؛ الصلاة خلفه جائزة، فأهل السنة يصلون خلف الإمام المسلم سواء كان صالحاً أو كان طالحاً أو من وكّله الإمام المسلم، فالأئمة الذين يصلون الآن في المساجد هؤلاء موكَّلون من قِبَلِ ولاة الأمور، بما أنهم من المسلمين فنصلي خلفهم، والصلاة خلفهم صحيحة جائزة ولا يسعك إلا أن تصلي خلفهم الجمعة، ولا يجوز لك أن تترك الجمعات وأن تنفصل عنهم، حتى تصلي الجمعة معهم ركعتين، وتعتقد في نفسك أن هذه الصلاة صلاة صحيحة ولا تردها.

لقول النبي ﷺ في الأمراء: «كيف بكم إذا أتت عليكم أمراء يصلون الصلاة لغير ميقاتها»، قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك يا رسول الله قال: «صل الصلاة لميقاتها واجعل صلاتك معهم سبحة». أخرجه أحمد وأبو داود.

وكان الصحابة يصلون خلف الحجاج بن يوسف الثقفي.

قوله: **(من أعادهما فهو مبتدع تارك للآثار)** من أعاد الركعتين اللتين صلاهما خلف الإمام سواء كان براً أو فاجراً؛ فهو مبتدع؛ ابتدع شيئاً جديداً، ما جاء ذلك عن النبي ﷺ، ولا فعل ذلك أصحابه الكرام؛ فلا يجوز له أن يفعل هذا الفعل، ويُعْتَبَرُ مبتدعاً مخالفاً للسنة.

(ليس له من فضل الجمعة شيء) لأن الذي يبتدع بدعة؛ تُرَدُّ عليه بدعته.

(إذا لم ير الصلاة خلف الأئمة من كانوا برهم وفاجرهم فالسنة بأن يصلي معهم ركعتين، ويدين بأنها تامة) أي يتدين بذلك ويعتقده؛ بأن صلاته تامة وصحيحة **(لا يكن في صدرك من ذلك شك)**.

قال المؤلف: **(وَمَنْ خَرَجَ على إِمَامٍ مِنْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَقَدْ كَانَ النَّاسُ اجْتَمَعُوا عَلَيْهِ، وأَقَرُّوا لَهُ بِالخِلافَةِ بِأَيِّ وَجْهٍ كَانَ، بِالرِّضَا أَو بالْغَلَبَةِ؛ فَقَدْ شَقَّ هَذَا الْخَارِجُ عَصَا الْمُسْلِمِينَ، وَخَالَفَ الْآثَارَ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ، فَإِنْ مَاتَ الْخَارِجِ عَلَيْهِ؛ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً)**

(من خرج على إمام من أئمة المسلمين) بشرط أن يكون هذا الإمام مسلماً، و**(كان الناس اجتمعوا عليه وأقرّوا له بالخلافة)** اجتمع الناس جميعاً على أن يكون هذا خليفة وأقرّوا له بأن يكون خليفة عليهم، **(بأي وجه كان)** بأيّ طريقة تسلط هذا الشخص على الحكم، **(بالرضا)** أي: برضا الناس به، **(أو بالغلبة)** أي: بالسيف؛ **(فقد شق هذا الخارج عصا المسلمين)**، فلا يجوز لأحد أن يخرج على الحاكم المسلم، ومن خرج عليه؛ شق عصا المسلمين؛ أي: فَرَّق بين المسلمين بخروجه، **(وخالف الآثار عن رسول الله ﷺ)** خالف الأدلة التي ذكرناها سابقاً من عدم جواز الخروج على الحاكم المسلم، **(فَإِن مَاتَ الْخَارِجِ عَلَيْهِ مَاتَ ميتة جَاهِلِيَّة)** كما جاء في الحديث الذي ذكرناه بأن الشخص

إذا خرج على الحاكم المسلم ومات وهو خارج عليه وليس في رقبته بيعة؛ مات ميتة جاهلية؛ أي: مات كما يموت أهل الجاهلية، وأهل الجاهلية ما كانوا يعرفون بيعة ولا يعرفون إماماً ولا شيئاً من هذه الأمور؛ فيموت عاصياً لله تبارك وتعالى كما كان حال أهل الجاهلية.

ثم قال المؤلف رحمه الله: **(وَلَا يَحِلُّ قِتَالُ السُّلْطَانِ، وَلَا الْخُرُوجُ عَلَيْهِ لأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ؛ فَهُوَ مُبْتَدِعٌ، عَلى غَيْرِ السُّنَّةِ والطَّرِيقِ)**

(لا يحل قتال السلطان) أي: حاكم المسلمين المسلم، ولا يحلُّ الخروج عليه، **(لأحد من الناس)** أيُّ شخص لا يجوز له الخروج على الحاكم المسلم، **(فمن فعل ذَلِك فَهُوَ مُبْتَدع على غير السّنة)**؛ لأنه ردَّ أحاديث النبي ﷺ التي ذكرناها، وهو **(على غير السنة والطريق)** الذي رسمه لنا النبي ﷺ؛ وهذا كله شرعه الله تبارك وتعالى دفعاً لمفسدة الخروج على الحاكم، تلك المفسدة العظيمة، فإذا كان الحاكم مسلماً؛ فلا يجوز الخروج عليه؛ لأن الخروج عليه يؤدي إلى مفسدة عظيمة من سفك للدماء وانتهاك للأعراض وذهاب للأموال، وتسليط الكفار وأعداء الإسلام على رقاب المسلمين، وغير ذلك؛ فالخروج على الحاكم يؤدي إلى إضعاف الدولة وإضعاف قوتها، وهذا يؤدي إلى طمع الكفار في بلاد المسلمين.

ثم قال المؤلف رحمه الله تعالى: **(وقِتَالُ اللُّصُوصِ والخَوَارِجِ جَائِزٌ إذا عَرَضُوا للرَّجُلِ فِي نَفْسِهِ وَمَالِهِ؛ فَلَهُ أَنْ يُقَاتِلَ عَنْ نَفْسِهِ وَمَالِهِ، وَيَدْفَعَ عَنْهَا بِكُلِّ مَا يَقْدِرُ)**

يعني يدفع عن نفسه بكل ما يقدر، هذا الكلام الذي ذكره المؤلف: اللصوص والخوارج قتالهم جائز؛ من أين جاء بهذا أنه يدفع عن نفسه؟

لما أجاب به النبي ﷺ حين سُئل: أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالي؟ قال: "فلا تعطه مالك"، قال: أرأيت إن قاتلني؟ قال: "قاتله"، قال: أرأيت إن قتلني؟ قال: "فأنت شهيد"، قال: أرأيت إن قتلته؟ قال: "هو في النار"[1]؛ فهذا دليل على أن من جاء يريد مالك يجوز لك أن تقاتله سواء كان مسلماً، أو كافراً، مهما كانت ديانته؛ لا يهم، وكذلك إذا أراد نفسك، وقد جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: "من قُتل دون نفسه فهو شهيد، ومن قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد"[2].

فمن أراد أن يسلبك دينك أو نفسك أو مالك؛ فلك الحق أن تقاتله، وتدافع عن نفسك ومالك ودينك، فهذا حق قد كفله لك ربنا تبارك وتعالى وشرعه لك ديناً تتديّن به؛ تدافع عن نفسك وتقاتله، وتحاول أن تدفع عن نفسك بأقل ما يمكن من المفسدة، فإذا لم يمكنك إلا أن تقتله؛ فاقتله؛ لأنك إذا قتلته يكون في النار، وإذا قتلك تكون شهيداً حصلت على مرتبة الشهادة.

والشهادة مرتبة ربانية تُعطى للعبد بناءً على الأدلة من الكتاب والسنة؛ لا تُعطى لكل من هبّ ودبّ كما هو الحال اليوم؛ فلا يجوز إطلاق وصف الشهادة على كافر، أو نصراني، أو علماني، أو أي نوع من أنواع الكفار؛ كيف يُطلق عليه شهيد؟ شهيد لماذا؟ وعلى ماذا؟ الشهادة هذه مرتبة ربانية من عند رب العالمين في دين الإسلام.

والعجب أنك تجد إنساناً لا يعترف لا بدين ولا برب، ثم يقول: فلان شهيد! شهيد عند من؟! وما هي شهادته؟ وكيف حصل على هذه المرتبة؟! تلبيس وكذب ونفاق في كل شيء في زمننا هذا، زمن طغى فيه الكفر والنفاق بشكل كبير، نسأل الله العافية

١- أخرجه مسلم (١٤٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

٢- "مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ" أخرجها البخاري (٢٤٨٠)، ومسلم (١٤١) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه. وأخرج أبو داود(٤٧٧٢)، وغيره عن سعيد بن زيدٍ، عن النبي-صلى الله عليه وسلم- قال: "مَنْ قُتِلَ دونَ ماله فهو شهيد، ومَنْ قُتِلَ دون أهلِه أو دون دَمِه أو دون دِينِه فهو شهيدٌ".

والسلامة، فعليكم بالعلم بارك الله فيكم، يكون سبباً في ثباتكم على هذا الدين وعلى هذا المنهج، ويكون عندكم معرفة في كيفية ردّ الباطل ومحاربته، اليوم واجب أهل العلم أعظم مما سبق؛ فالضلال اليوم قد انتشر وقوي، وواجب البيان صار أعظم.

نرجع إلى موضوعنا: قتال اللصوص والخوارج: دفع الصائل؛ وهو ما يسمى عند الفقهاء بدفع الصائل.

من الصائل؟

هو الذي يهجم عليك، اعتدى عليك يريد دينك ويريد نفسك ويريد مالك؛ هذا صائل.

وهذه صورة من صور جواز قتال المسلم للمسلم، ومن زعم أن المسلم لا يُقَاتل مطلقاً؛ فقد ابتدع بدعة جديدة لا تُعرف في الإسلام أبداً؛ بل المسلم يُقاتَل، وقد قاتل الصحابة رضي الله عنهم المسلمين؛ قاتل أبو بكر الصديق رضي الله عنه مانعي الزكاة، وقاتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه الخوارج، وقاتل مخالفيه.

فقطاع الطرق من المسلمين ومن غيرهم يُقاتلون، والخوارج يُقاتلون، والبغاة يُقاتلون، هؤلاء جميعاً مسلمون- قطاع الطرق، الخوارج، البغاة-، وكلهم يُقاتلوا وهم مسلمون، وعلماء المسلمين متفقون على جواز قتال هؤلاء؛ قاطع الطريق، البغاة الذين يبغون على غيرهم ويعتدون عليهم ويريدون قتالهم، والخوارج كذلك، وكذا من منع شريعة من شرائع الله وكانت لهم قوة، قوم اجتمعوا وكانت لهم قوة ومنعوا شريعةً من شرائع الله سبحانه وتعالى لا يريدون أداءها؛ فهؤلاء أيضاً يُقاتلون كما قاتل أبو بكر الصديق مانعي الزكاة، وكما قاتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه الخوارج وقاتل من بغى عليه.

فقد أخذ العلماء فقه قتال البغاة والخوارج من قتال علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأخذوا من قتال أبي بكر الصديق رضي الله عنه فقه قتال المرتدين ومانعي شريعة، وأخذوا فقه قتال الكفار من سيرة النبي ﷺ.

كيف تعرف أحكام قتال البغاة وقتال الخوارج؟ انظر إلى سيرة علي بن أبي طالب رضي الله عنه وما الذي فعله معهم، وهذا الذي فعله الإمام الشافعي رحمه الله.

وأخذ العلماء أيضاً فقه قتال المرتدين وقتال مانعي شريعة من شرائع الله سبحانه وتعالى من أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وأخذوا فقه قتال الكفار من سيرة النبي ﷺ، فقد قال النبي ﷺ: "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ"[1].

ومن القتال الجائز أيضاً أن تدافع عن نفسك، تدفع الصائل الباغي الذي يبغي عليك، ويريد أخذ مالك أو نفسك أو دينك، تدافع عن نفسك كما قال المؤلف، قال: "وَيدْفَع عَنْهَا بِكُل مَا يقدر" تدفع عن نفسك وعن مالك بكل ما تستطيع.

قال: **(وَلَيْسَ لَهُ إذا فَارَقُوهُ أَوْ تَرَكوهُ أَنْ يَطْلُبَهُمْ، ولا يَتَّبِعْ آثَارَهُمْ، لَيْسَ لِأَحَدٍ إِلَّا الإِمامُ أَوْ وُلَاةُ الْمُسْلِمِينَ؛ إِنَّمَا لَهُ أَنْ يَدْفَعَ عَنْ نَفْسِهِ فِي مَقَامِهِ ذَلِكَ، وَيَنْوِي بِجُهْدِهِ أَلَّا يَقْتُلَ أَحَدَاً، فَأَنْ مَاتَ عَلى يَدَيْهِ فِي دَفْعِهِ عَنْ نَفْسِهِ فِي المَعْرَكَةِ؛ فَأَبْعَدَ اللهُ المَقْتولَ)**

قوله: **(وَلَيْسَ لَهُ إذا فارقوه أَو تَرَكُوهُ أَن يطلبهم)** أي: جاءك شخص يريد أن يعتدي على مالك أو على نفسك، فقاتلته أو رفعت السلاح في وجهه، فخاف وهرب؛ فليس لك أن تلحقه وأن تقتله؛ بل تدفع عن نفسك بأقل ما يمكن من المفاسد، والأصل فيه أنه

١- أخرجه أحمد (١٧١٤٤)، وأبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦) وغيرهم عن العرباض بن سارية رضي الله عنه.

مسلم لا يجوز قتله؛ لكن جاز لك أن تقتله في حال اعتدى عليك، وبما أنه قد كفَّ عنك؛ فلا يجوز لك قتله؛ فلا تطلبه ولا تتبعه؛ ولكن اتركه يذهب.

قوله: **(ولا يتبع آثارهم)** أي: لا يطاردهم ويبحث عنهم؛ اتركهم.

قوله: **(ليس لأحد إلا الإمام أو ولاة المسلمين؛ إنَّما لَه أَن يدفع عَن نَفسه فِي مقَامه ذَلِك)** انتبه هنا لأمر!

من الذي له أن يلاحقهم ويتتبعهم وأن يقبض عليهم أو أن يقتلهم؟ هو إمام المسلمين، الخوارج حكمهم في الشرع أن يقتلوا أين ما كانوا، فإذا عُرف الشخص أنه خارجي؛ فيجب أن يُقتل؛ لكن من يقتله؟ يقتله ولي أمر المسلمين، هذه الحدود حق خاص بولاة الأمور، إن طبقوها؛ أُجِروا على ذلك، وفعلوا أمراً عظيماً يؤجرون عليه، وإن تركوها؛ أثموا وكان عذابهم عند الله عظيماً إن ماتوا على ذلك، وشاء الله سبحانه وتعالى عذابهم، لكن ليس لآحاد الناس أن يطبق الحدود على الناس، ولا أن يقتل خارجياً في حال السلم، طبعاً وليس عنده أمر من ولي الأمر؛ فلا يقتله؛ لأنه لو فتح هذا الباب؛ لدبَّت الفوضى وانتشر الفساد، وصار كل واحد يريد أن يقتل آخر؛ يقول: هو خارجي، أو قاطع طريق، أو هو كافر أو ما شابه من الدعاوى؛ فتصبح الأمور فوضى؛ لذلك فالعلماء متفقون على أن القصاص حقٌ خاصٌ بولي الأمر بالإجماع، وهذا من ذلك؛ اللص أو الخارجي إذا جاء يعتدي على نفسك؛ فدافع عن نفسك، فإذا تركك اتركه، لكن من الذي يجب عليه أن يلاحقه وأن يعاقبه؟ هو ولي الأمر؛ فلَيْسَ لأحد أن يلاحقه إِلَّا الإِمَام أَو وُلَاة الْمُسلمين، إِنَّمَا لَهُ أَن يدْفع عَن نَفسه فِي مقَامه ذَلِك؛ هذا هو حقه فقط.

قال: **(وَيَنْوِي بِجهْدِهِ أَن لَا يقتل أحداً)** يعني: يحاول ويكون قاصداً في نفسه ألا يقتل أحداً لكن يريد أن يدافع عن نفسه، فيدفع عن نفسه بقدر ما يمكن؛ بأقل ما يمكن من المفاسد، فإذا استطاع ألا يسفك دماً؛ فهذا المطلوب؛ لأنه قتال مسلم لمسلم، والأصل حرمة دماء المسلمين؛ لكن هنا صارت ضرورة أن تدافع عن نفسك، ولو قلنا أن المسلم الصالح لا يدافع عن نفسه ويتركها للفاسد؛ لفسدت الأرض ولَعَاثَ المفسدون في الأرض فساداً وصار الصالحون لقمة سائغةً للمفسدين؛ لذلك لا بد من الدفاع وإيقاف أهل الباطل عند باطلهم.

قوله: **(فَإِن مَاتَ على يَدَيْهِ فِي دَفعه عَن نَفسه فِي المعركة فأبعد الله الْمَقْتُول)** يعني: إن مات المعتدي على يديه- سواءٌ كان هذا المعتدي خارجياً أو كان لصاً-؛ فأبعد الله المقتول؛ لا رَدَّهُ الله سبحانه وتعالى، وهو في النار كما قال رسول الله ﷺ.

قال المؤلف: (وَإِن قتل هَذَا فِي تِلْكَ الْحَال وَهُوَ يدْفع عَن نَفسه وَمَاله رَجَوْت لَهُ الشَّهَادَة كما جاء في الأحاديث، وجميع الآثار في هذا إنما أمر بقتاله ولم يؤمر بقتله، ولا اتباعه، ولا يجيز عليه إن صرع أو كان جريحاً)

أي: إن قُتل؛ فنرجو له أن يكون شهيداً كما أخبر النبي ﷺ؛ قال: فإن قتلني؟ قال: "فأنت شهيد"، قال: فإن قتلته؟ قال: "هو في النار"؛ فنرجو للمؤمن المدافع عن نفسه أو عن ماله أن يموت شهيداً في تلك الحال.

قوله: **(وَجَمِيع الْآثَار فِي هَذَا إِنَّمَا أَمر بقتاله)** يعني: لم يؤمر بقتله؛ إنما أُمِر بقتاله، ولا يلزم دائماً من القتال جواز القتل؛ فأنت تقاتل من أجل أن تدافع، لكن إذا أَصَرَّ ذاك على قتالك؛ فتقتله لا بأس؛ هذا هو المقصود.

قوله: **(وَلم يُؤمر بقتْله وَلَا اتِّبَاعه)** ليس هدفاً له أن يقتله؛ لأن الله لم يأمره بذلك؛ إنما هدفه أن يدافع عن نفسه فهذا الذي أجيز له؛ هذا هو مراده من هذا الكلام، فإذا لم يمكنه أن يدافع عن نفسه إلا بقتله؛ فيقتله، لكن إذا فرَّ وتركه؛ انتهى الأمر يتركه.

(ولا يجهز عليه إن صرع أو كان جريحاً) أي: لا يُنْهي أمره، يعني: مثلاً إذا ضربه ضربة أقعدته، فلم يمت لكن صار غير قادر على القتال؛ فهل يجوز له أن يكمل عليه ويقتله؟

يقول: لا؛ لا يجهز عليه؛ يعني: لا تكمل عليه وتقتله.

فإذا صُرِع؛ يعني: إذا وقع على الأرض وما عاد له قدرة على القتال أو كان جريحاً؛ فلا ينهي أمره؛ لأن قتله هنا حق لولي الأمر؛ فإنه صار عاجزاً عن أن يعتدي على نفسك ومالك؛ فعندئذ تتركه وتأخذه وتسلمه لولي الأمر؛ فلا تقتله أنت.

قال: **(وَإِنْ أَخَذَهُ أَسِيراً؛ فَلَيْسَ لَهُ أَنْ يَقْتُلَهُ، وَلَا يُقِيمُ عَلَيْهِ الْحَدَّ؛ وَلَكِنْ يَرْفَعُ أَمْرَهُ إِلَى مَنْ وَلَّاهُ اللهُ؛ فَيَحْكُمُ فِيهِ)**

هذا هو هذا التفصيل الكامل لما يحدث اليوم في حياتنا اليومية في حال الفتنة؛ وخصوصاً في البلاد التي فيها فتنة.

إذا اعتدى عليك لص أو خارجيٌّ؛ ماذا تفعل؟

وإن كان مسلماً؛ تدافع عن نفسك، لا تتركه يعتدي عليك، دافع عن نفسك وامنعه من باطله بأقل ما يمكن، ما استطعت أن تفعل هذا إلَّا أن تقتله؛ فاقتله لا بأس؛ هو في النار كما قال النبي ﷺ، وإذا قتلك؛ فأنت شهيد؛ فهؤلاء الخوارج شرهم عظيم، وخطرهم جسيم، لا ينتهي خطرهم إلا بقتلهم؛ لذلك قال النبي ﷺ: "لئن أدركتهم

لأقتلنهم قتل عاد"[1]، وواجب على ولاة الأمر أن يقتلوهم إذا لم يكن في قتلهم مفسدة عظيمة.

ما الذي منع علي بن أبي طالب رضي الله عنه من قتلهم قبل أن يقاتلوا؟

لأن المفسدة من ذلك كانت كبيرة، كانوا كثر، ولهم عشائر، فكان في قتلهم مفسدة، لذلك كف عنهم رضي الله عنه، أما إذا لم توجد هذه المفسدة؛ فيقتلون؛ لأن النبي ﷺ قال: "لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد"، فالخارج يقتل سواء قاتل أم لم يقاتل، هذا هو الحق وهذا هو الصواب، خلافاً لبعض أهل العلم، الذين يرون أنه لا يقتل إلا إذا قاتل؛ هذا خطأ؛ فالنبي ﷺ أمر بقتلهم، وعمر بن الخطاب رضي الله عنه قال في صبيغ بن عسل: (والذي نفس عمر بيده، لو وجدتك محلوقاً لضربت رأسك) أخرجه الآجري في الشريعة، أراد أن يقتله مع أنه ما قاتل، لكن لو رأى فيه علامة الخوارج التي أخبرهم النبي ﷺ بها لقتله، إنما كان فقط يريد أن يعلم أنه خارجي أو لا، فلو تأكد أنه خارجي؛ لقتله؛ هذا هو الحكم الشرعي.

لكن من يقتله؟ يقتله ولي الأمر.

وجهاد الخوارج من أعظم أنواع الجهاد؛ قتالهم من أعظم أنواع القتال؛ لذلك ينبغي على من شرفه الله سبحانه وتعالى بقتال هؤلاء القوم أن يحتسب ذلك عند الله، وأن يعلم أنه في مقام قد شرَّفه الله به؛ أنه يقاتل أمثال هؤلاء والله أعلم.

قال المؤلف رحمه الله: **(وَلَا نَشْهَدُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ بِعَمَلٍ يَعْمَلُهُ بِجَنَّةٍ وَلَا نَارٍ، نَرْجُو لِلصَّالِحِ، وَنَخَافُ عَلَيْهِ، ونَخَافُ عَلَى الْمُسِيءِ الْمُذْنِبِ، وَنَرْجُو لَهُ رَحْمَةَ اللهِ)**

١- أخرجه البخاري (٧٤٣٢)، ومسلم (١٠٦٤) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

هذه مسألة الشهادة لشخص معين.

لاحظ! هناك فرق بين الحكم على الوصف والحكم على الشخص؛ يعني: بالوصف نقول: كل مؤمن في الجنة؛ يعني: من مات على الإيمان؛ فهو في الجنة، وكل كافر في النار، هذا حكم على الوصف؛ وصف الإيمان ووصف الكفر، فمثل هذا الإطلاق جائز؛ لكن عندما نأتي إلى شخص معين؛ مثلاً زيد من الناس أو عمرو من الناس؛ لا نستطيع أن نقول: زيد في الجنة وعمرو في النار مثلاً، فلا نحكم على شخص معين لا بجنة ولا بنار إلا من جاءنا فيه وحي من الله، يقول: فلان في الجنة؛ إذن هو في الجنة، أو: فلان في النار؛ فهو في النار؛ لا بأس عندئذ أن نحكم بذلك؛ لأنه قد جاءنا الوحي من الله بذلك؛ هذه أمور غيبية لا ندركها نحن، حتى وإن كان الشخص ظاهره أنه مؤمن وذاك ظاهره أنه كافر؛ فما أدرانا على ما يُختم له، وبم يختم له؟ هل سيختم له على الإيمان أم يختم له على الكفر؟ لا ندري؛ هذه أمور غيبية، لذلك عندما يخبرنا الله أن فلاناً في النار؛ ففي النار، أخبر الله تعالى أن أبا لهب في النار؛ فنشهد له أنه في النار، فرعون في النار نشهد له بأنه في النار؛ انتهى قد جاءنا الوحي بذلك، أخبرنا النبي ﷺ أن العشرة المبشرين في الجنة؛ أبو بكر وعمر وعثمان وعلي إلى آخره...؛ فنشهد لهم بالجنة؛ لأن النبي ﷺ أخبر بذلك، أخبرنا النبي ﷺ أن الحسن والحسين في الجنة؛ إذن نقول: الحسن والحسين في الجنة، أخبرنا أن عائشة في الجنة؛ نؤمن بذلك، بلال في الجنة؛ نؤمن بذلك، عكاشة بن محصن في الجنة؛ نؤمن بذلك؛ وهكذا، لماذا؟ لأنه قد ثبتت الأخبار بذلك عن النبي ﷺ؛ هذا هو.

إذاً نفرّق بين الحكم على الشخص والحكم على الوصف بجنة أو نار، فعلى الوصف؛ يجب أن نحكم بذلك؛ فنقول: كل مؤمن في الجنة، وكل كافر في النار، والمؤمن الفاسق

إن مات على فسقه؛ إن شاء الله عذبه، وإن شاء لم يعذبه؛ لكن مآله إلى الجنة؛ لأنه مات على الإيمان؛ هذه عقيدتنا، وبهذا جاءت النصوص الشريعة الواضحة الصريحة.

لكن عندما ننتقل إلى الحكم على الشخص المعين؛ عندئذ نقول: نرجو للمؤمن أن يدخل الجنة؛ نرجو للصالح ونخاف عليه، ونخاف على المسيء المذنب أن يعذبه الله سبحانه وتعالى؛ لكن نرجو أن يرحمه الله سبحانه وتعالى وأن يتجاوز عنه؛ هذه عقيدة أهل السنة والجماعة في ذلك؛ لأنها أمور غيبية.

وجاء عن الصحابة رضي الله عنهم: أن رجلاً كانت له نكاية في العدو وقتال وقوة وأثر عظيم، فقالوا: هو في الجنة؛ قالوا: فلان شهيد؛ فقال النبي ﷺ :"كلا والذي نفس محمد بيده؛ إن الشملة لتلتهب عليه ناراً؛ أخذها من الغنائم يوم خيبر، لم تصبها المقاسم"[1]؛ يعني أنه في النار، لماذا؟ لأنك تحكم على الظاهر الذي أمامك؛ لكن أنت لا تعلم حقيقة الأمر، حقائق الأمور عند الله سبحانه وتعالى؛ فلا نشهد لمعيّن بجنة ولا بنار؛ إلا من شهد الله له بذلك وأخبرنا بذلك؛ فنؤمن بذلك ونشهد به. والله أعلم.

قال المؤلف: **(وَمن لَقِي اللهَ بِذَنْبٍ يَجِبُ لَهُ به النَّار تَائِباً غَيْرَ مُصِرٍّ عَلَيْهِ؛ فَإِنَّ اللهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ، وَيَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ، وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ)**

هذه عقيدة أهل السنة والجماعة؛ أن المسلم الموحد إذا أذنب ذنباً وتاب منه؛ فإن الله تبارك وتعالى يتوب عليه؛ فالله سبحانه وتعالى يقبل التوبة التي هي الاعتراف بالذنب والرجوع عنه والندم عليه، وإذا كان لأحد بسبب هذا الذنب حق ردَّه إليه، فإذا تاب وأخلص التوبة لله؛ قُبِلت توبته عند الله سبحانه وتعالى، وهذا بالنسبة لأيُّ ذنب يفعله؛ سواء كان ربا، أو زنا، أو سرقة، أو أي شيء، حتى الكافر إذا تاب من كفره

١- أخرجه البخاري (٤٢٣٤)، ومسلم (١١٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وشركه ورجع إلى الله سبحانه وتعالى قبل موته؛ قَبِل الله سبحانه وتعالى منه، وهذا من رحمة الله تبارك وتعالى، قال الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا} [الزمر: ٥٣]، وهذا لفظ عام يخاطب العباد جميعاً، ولفظ عام يشمل الذنوب جميعاً من الشرك إلى أصغرها.

ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها.

ولانقطاع التوبة وقتان؛ وقت عام للناس جميعاً؛ وهو طلوع الشمس من مغربها، وهذا في آخر الزمان.

ووقت خاص بكل فرد؛ وهو حين الغرغرة؛ حين وصول الروح إلى نهاية محلها في الجسد، ثم تخرج؛ عندها تنقطع التوبة ولا تقبل، أما قبل ذلك؛ فباب التوبة مفتوح للجميع، الكافر المشرك، أو الذي ارتكب ذنباً؛ يغفره الله سبحانه وتعالى بناءً على هذه الآية التي تقدمت، فالله سبحانه وتعالى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات، وهذا من رحمته بعباده تبارك وتعالى؛ إذاً التوبة تجُبُّ ما قبلها وتنهيه، أيُّ ذنب كان، إذا تاب العبد منه؛ تاب الله سبحانه وتعالى عليه وقُبِل منه؛ هذا الحال الأول من أحوال الناس؛ وهو أن يتوب العبد من ذنبه قبل أن يموت.

أما إذا لم يتب حتى مات، وبقي على الذنب إلى أن مات، ولقي الله سبحانه وتعالى عليه؛ فإذا كان ذنبه الشرك؛ فهذا لا يغفره الله أبداً، وهو خالد مخلّد في نار جهنم، كما قال الله سبحانه وتعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ} [النساء: ٤٨]، هذه الآية تدلنا على أن من مات مشركاً لا يغفر الله سبحانه وتعالى له أبداً، ودليل تخليده في نار جهنم قول الله سبحانه وتعالى: {إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ

حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ} [المائدة: ٧٢]؛ هذا حال المشرك إذا مات على شركه وكفره ولقي الله سبحانه وتعالى بذلك؛ لا بدَّ أن يدخل نار جهنم، ولا بد أن يُخَلَّد فيها.

أما إذا كان الشخص موحداً، ولقي الله بالذنوب والمعاصي؛ فهذا أمره إلى الله؛ ربما يغفر الله سبحانه وتعالى له من عنده تفضلاً لقوله تبارك وتعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ}؛ يعني: ما هو أقل من الشرك، {وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ} فمن شاء أن يغفر له غفر له، ومن شاء أن يعذبه عذبه بذنبه، ثم يخرج من النار ولا يُخَلَّد فيها لأنه موحد، كما جاء في أحاديث كثيرة في الصحيحين وغيرهما: أن النبي قال: «من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة»، وقال: "ومن مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة"؛ لأنه مُوَحِّد.

إذاً عندنا فرق:

أن من مات على الذنب، إن كان ذنبه كفراً أو شركاً- يعني: الشرك الأكبر أو الكفر الأكبر-؛ فهذا مخلّد في نار جهنم، أما إذا كان ذنبه أدنى من ذلك، وموحِّد وله ذنوب ومعاص لقي الله بها؛ فهذا أمره إلى الله؛ إذا شاء عذبه على قدر ذنبه ثم أخرجه من النار، وإذا شاء غفر له؛ هذا حال الناس يوم القيامة.

إذاً صار عندنا مرتكب الذنب؛ إما أن يتوب منه في الدنيا؛ وهذا كأنه لم يفعل ذنباً، يغفره الله سبحانه وتعالى ويتوب عليه، أو أن يلقى الله به؛ فهذا فيه تفصيل:

إن كان ذنبه الشرك أو الكفر؛ فهذا يُخلّد في نار جهنم، وإذا كان ذنبه أدنى من ذلك وكان العبد موحِّداً؛ فهذا أمره إلى الله؛ إن شاء عذبه على ذنبه، وإن شاء غفر له؛ هذا تفصيل هذه المسألة وهذه أدلتها.

قال المؤلف رحمه الله: **(وَمَنْ لَقِيَهُ وَقَدْ أُقِيمَ عَلَيْهِ حَدُّ ذلِكَ الذَّنْبِ فِي الدُّنْيا؛ فَهُو كَفَّارَتُهُ؛ كَما جَاءَ فِي الخَبَرِ عَنْ رَسولِ اللهِ ﷺ، وَمَنْ لَقِيَهُ مُصِرّاً غَيْرَ تَائِبٍ مِنَ الذُّنُوبِ الَّتِي اسْتَوْجَبَ بِهَا الْعُقُوبَةَ؛ فَأَمْرُهُ إِلَى اللهِ؛ إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ، وَمَنْ لَقِيَهُ وَهُو كَافِرٌ؛ عَذَّبَهُ وَلَمْ يَغْفِرْ لَهُ)**

قوله: **(ومن لقيه)** يعني: من لقي الله سبحانه وتعالى.

قوله: **(وَمَنْ لَقِيَهُ مُصِرّاً غَيْرَ تَائِبٍ مِنَ الذُّنُوبِ الَّتِي اسْتَوْجَبَ بِهَا الْعُقُوبَةَ؛ فَأَمْرُهُ إِلَى اللهِ؛ إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ، وَمَنْ لَقِيَهُ وَهُو كَافِرٌ؛ عَذَّبَهُ وَلَمْ يَغْفِرْ لَهُ)** وهذا فصّلناه مع المسألة الأولى.

بقي فقط قوله: **(ومن لقيه وقد أقيم عليه حدّ ذلك الذنب في الدنيا فهو كفّارته)** هل الحدود التي تقام على العباد في الدنيا كفارة لهم؟ يعني: إذا سرق السارق وقُطِعت يده؛ هل قطع يده هذا يعتبر كفارة لذنبه- ذنب السرقة-، كذلك الزاني والزانية إذا زنيا وأُقيم عليهما الحد، إذا كان الزاني محصناً يرجم، وإذا لم يكن محصناً يجلد ويغرّب، فإذا أُقيم عليهما الحد؛ هل يعتبر هذا كفارة لهما؟

نعم هذا هو الصحيح؛ لأنه قد جاء في الحديث: أن النبي ﷺ قال لأصحابه: "بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوني في معروف، قال: فمن وفّى منكم ذلك فأجره على الله" يعني: من التزم بما ذكرت؛ فله أجر عظيم وأجره عند الله سبحانه وتعالى، قال: "ومن أصاب شيئاً من ذلك، فعوقب به في الدنيا؛ فهو كفارته"؛ هذا الشاهد الذي نريده؛ "من أصاب من ذلك" يعني: ذنباً؛ زنى أو سرق أو ما شابه، "فعوقب به في الدنيا" حدّاً من حدود الله سبحانه وتعالى أقيم عليه؛ "فهو كفارته"؛ إذاً الحدود

كفّارات للذنوب، قال: "ومن أصاب من ذلك شيئاً فستره الله عليه؛ فأمره إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه" متفق عليه[1]؛ يعني إذا ستر الله سبحانه وتعالى على العبد الذنب الذي أذنبه؛ زنى أو سرق؛ لكنه لم يُفضح لم يصل أمره إلى القاضي أو إلى الحاكم؛ فهذا أمره إلى الله؛ إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه؛ هذا إذا لقي الله بهذا الذنب؛ لكنه إذا تاب؛ تاب الله سبحانه وتعالى عليه كما تقدم.

بعض الناس عندما يرتكب ذنباً كهذا ويستره الله عليه؛ ماذا يصنع؟

يفضح نفسه؛ هذا خطأ، استر نفسك واستغفر وتب يتوب الله سبحانه وتعالى عليك.

قال المؤلف رحمه الله: **(وَالرَّجْمُ حَقٌّ عَلى مَنْ زَنَى وَقَدْ أُحْصِنَ إذا اعْتَرَفَ أَوْ قَامَتِ عَلَيْهِ بَينةٌ، وَقَدْ رَجَمَ رَسُولُ الله ﷺ، وَقَدْ رَجَمَت الْأَئِمَّةُ الرَّاشِدونَ)**

رجم الزاني المُحصَن- يعني المتزوج- حدّ من حدود الله متفق عليه بين أهل السنة والجماعة، لا خلاف في ذلك؛ من زنى وهو مُحصَن يؤتى به بين الناس ويُضرب بالحجارة حتى يموت؛ هذا حده الشرعي، عقوبة قاسية؛ لكنها مناسبة، وهذا من حكمة الله تبارك وتعالى؛ العقوبة الشديدة للذنب العظيم؛ حتى يعلم الناس عِظَم هذا الذنب ويكفُّوا عنه؛ فإنه لا يردعهم إلَّا مثل هذه العقوبات الشديدة؛ فأمر عظيم كهذا فيه خلط الأنساب، وهذا فيه من الفساد الشيء العظيم، دمار أمم من وراء هذا الأمر.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "لقد خشيت أن يطول بالناس زمان حتى يقول قائل: لا نجد الرجم في كتاب الله؛ فيضلّوا بترك فريضة أنزلها الله؛ ألا وإن الرجم حقٌّ على من زنى وقد أُحصن إذا أقيمت البينة" يعني: الحجة والدليل على أنه زنى "أو كان

١- البخاري (١٨)، ومسلم (١٧٠٩) عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

الحَبَل" يعني: المرأة إذا زنت كان منها الحمل "أو الاعتراف" يعني: يعترف الزاني بأنه قد زنى "ألا وقد رجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده"؛ هذا في الصحيح[1].

عَلِم عمر بن الخطاب بعد أن نُسخت آية الرجم من كتاب الله- نُسِخ لفظها، وأما معناها فباق- علم أنه سيأتي متفلسفون غششة مخادعون، ويكذبون على الله سبحانه وتعالى ويكذبون على شريعته؛ فينكرون حدّ الرجم؛ فبيّن الأمر بهذا؛ فكون النبي ﷺ قد رجم ورجم الخلفاء الراشدون من بعده دليل على أن الحكم مُحكمٌ غير منسوخ؛ فبطلت حجة أي أحد يشوّش على هذا الحكم الشرعي، ولا يمكن القضاء على الفساد الذي يترتب على الزنا إلا بهذه الحدود التي وضعها الله سبحانه وتعالى؛ فالله هو الذي خلق خلقه، وهو أعلم بما يصلحهم وما يفسدهم.

قال المؤلف - رحمه الله: **(وَمَنِ انْتَقَصَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَوْ أَبْغَضَهُ لِحَدَثٍ كَانَ مِنْهُ أَوْ ذَكَرَ مَسَاوِيَهِ؛ كَانَ مُبْتَدِعًا، حَتَّى يَتَرَحَّمَ عَلَيْهِم جَمِيعاً، وَيكونَ قَلْبُهُ لَهُمْ سَلِيماً)**

هذه عقيدة أهل السنة والجماعة في أصحاب رسول الله ﷺ.

الصحابي: هو من لقي النبي ﷺ مؤمناً به ومات على ذلك، يعني: من لقي النبي ﷺ وكان مؤمناً به ومات على الإيمان.

والصحابة قد ذكرهم الله بخير وأثنى عليهم ومدحهم، وأثنى عليهم النبي ﷺ؛ فهم من آمن به ﷺ حين كفر الناس به، وهم من نصر النبي ﷺ بأنفسهم وأموالهم وأبنائهم، وضحوا بالغالي والنفيس من أجل نصرته ومن أجل نصرة دين الإسلام، فمن أحبهم؛ أحبهم لذلك، ومن أبغضهم؛ أبغضهم لذلك؛ لهذا قال النبي ﷺ: "آية الإيمان حب الأنصار

١- أخرجه البخاري (٦٨٢٩)، ومسلم (١٦٩١) عن ابن عباس رضي الله عنه.

وآية النفاق بغض الأنصار" متفق عليه[1]؛ يعني: علامة إيمان المؤمن أن يحب الأنصار، وعلامة نفاقه أن يبغض الأنصار.

ما الذي بينه وبين الأنصار؟ ليس بينه وبينهم إلا نصرتهم للنبي ﷺ، فإذا كان مؤمناً محباً للنبي ﷺ ولنصرة دينه؛ أحب هؤلاء الذين نصروه، وإذا كان كافراً أو منافقاً لا يحب علو دين الله ولا نصرة نبيه ﷺ؛ أبغض الذين نصروه؛ لذلك يبغض الأنصار؛ هذه هي العلامة الفارقة.

فالصحابة هم من نصر النبي ﷺ، هم من أيَّدَهُ، هم من آمن به، فمن أبغض النبي ﷺ، أو أبغض دينه؛ أبغض الصحابة؛ لأنهم نصروه، ومن أحب النبي ﷺ وأحب نصرة دينه؛ أحب أصحابه؛ لأنهم نصروا دين الإسلام، ولأن الله تبارك وتعالى ذكرهم بخير واصطفاهم لصحبة نبيه؛ كما قال عبد الله بن مسعود: "إِنَّ اللَّهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ ﷺ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ، فَابْتَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ، فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَجَعَلَهُمْ وُزَرَاءَ نَبِيِّهِ، يُقَاتِلُونَ عَلَى دِينِهِ، فَمَا رَأَى الْمُسْلِمُونَ حَسَنًا، فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ حَسَنٌ، وَمَا رَأَوْا سَيِّئًا فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ سَيِّئٌ"؛ والأمر على هذا؛ قال الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم: {مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا} [الفتح: ٢٩]، وقال جل في علاه: {وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ

١- البخاري (١٧)، ومسلم (٧٤) عن أنس رضي الله عنه.

أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الحشر: ٩]، وقال جل في علاه: {لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا} [الفتح: ١٨]، وقال سبحانه: {وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [التوبة: ١٠٠]، والآيات كثيرة والأحاديث أكثر في الثناء على أصحاب النبي ﷺ جملة وتفصيلاً، قال النبي ﷺ: "لا تسبوا أصحابي"[1]؛ كفوا عن ذكرهم بسوء؛ هذا أمر من النبي ﷺ: "لا تسبوا أصحابي؛ فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه"، لو أنفقت مثل جبل أحد- انظر هذه النفقة العظيمة-؛ ما بلغت نفقتك مثل نفقة واحد منهم؛ إذا أنفق قدر مد فقط أو نصفه؛ لماذا؟ مع أن المد قليل بالنسبة إلى جبل أحد؛ لكن هذا القليل كانت فيه نصرة الإسلام ونصرة النبي ﷺ في وقتها؛ فهو أعظم لدين الله من جبل أحد؛ لذلك كانت لهم المكانة الرفيعة والمنزلة العالية عند الله تبارك وتعالى.

النبي ﷺ يقول: "لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحدٍ ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه"؛ هذا نهيٌ عن سبهم، وهذا يشملهم جميعاً، والأدلة- كما ذكرت- كثيرة تدل على فضل أصحاب النبي ﷺ، ووجوب الإمساك عمّا شجر بينهم من خلافات، حتى وإن حصل خطأ من أحدهم؛ فنلتمس له العذر، ونقول: هو مجتهد، إن أصاب فله أجران، وإن أخطأ فله أجر؛ لأن الله سبحانه وتعالى قد أثنى عليهم ومدحهم.

١- تقدم تخريجه

وأحذر كل التحذير من الوقيعة في معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه؛ فمعاوية هو السبيل إلى أصحاب النبي ﷺ؛ لا يتجرأ العبد بأن يبدأ باستنقاص أصحاب النبي ﷺ مباشرةً؛ ولكنه أول ما يبدأ بمعاوية وبعمرو بن العاص وبمن كان معهما؛ مستغلاً بذلك العواطف الهيَّاجة، العواطف التي لا تنضبط بضابط الشرع، مستغلاً ما وقع بين معاوية وعلي من خلاف، والناس بعاطفتها تميل إلى علي بن أبي طالب لأنه ابن عم النبي ﷺ؛ فيبدؤون بالغمز واللمز في معاوية ومن معه؛ هذا محرم، وهو البوابة التي توصلك إلى الطعن بأصحاب النبي ﷺ؛ أولاً معاوية ثم عمرو ثم عائشة ثم طلحة ثم الزبير؛ وهكذا؛ حتى يصل الأمر إلى الطعن بأصحاب النبي ﷺ والطعن في شريعة الله ككل؛ لأن الشريعة ما وصلتنا إلا عن طريق أصحاب النبي ﷺ، فإذا أسقطنا أصحاب النبي ﷺ؛ سقطت الشريعة وانتهت، إذا قلنا بأن أصحاب النبي ﷺ فسقة أو فجرة أو كفرة؛ من الذي نقل إلينا القرآن؟! من الذي أوصل إلينا السنة؟ هذه حقيقة دعوة الرافضة؛ يريدون أن يصلوا إلى هذا، إذا قلت أن أصحاب النبي ﷺ فسقة أو فجرة أو كفرة؛ انتهى الأمر؛ لم يعد عندك قرآن؛ فقرآنك محرَّف؛ حرفه الصحابة كما تقول الرافضة، ولا يصبح عندك سنة؛ فالسنة وضعها الصحابة؛ إذاً انتهى الأمر ما عاد هناك دين؛ هذا ما يريدون الوصول إليه؛ فكن حذراً ولا تجرَّنَّك العواطف الكاذبة التي لا تنفع عند الله تبارك وتعالى؛ تعلّم والتزم واستقم كما أمرت.

قوله: **(وَمن انْتقصَ أحدا من أَصْحَاب رَسُول الله ﷺ)** حتى لو انتقص واحداً منهم وطعن فيه؛ فهو مبتدع قد أحدث في دين الله ما ليس منه؛ فهذا يُحَذَّرُ منه، يضلل، يبدع، ويُحَذَّر منه؛ فالسكوت عن الطعن في واحد من أصحاب النبي ﷺ يؤدي إلى المفسدة الى تقدمت، وانتشار ذلك بين الناس؛ خصوصاً في زمننا هذا الذي انتشر فيه

الرفض، وقويت شوكته؛ فالشدة على من يطعن في أصحاب النبي ﷺ ينبغي أن تكون أكثر من أي وقت مضى.

قوله: **(أو بغضه بحدث كان منه)** يعني أو كره أحداً من أصحاب النبي ﷺ بخطأ وقع منه، **(أو ذكر مساويه)** بدأ يعدد أخطاءه التي وقعت منه، وينشرها بين الناس، ويحذر الناس منه؛ فمثل هذا مبتدع ضال؛ **(كان مبتدعاً)**؛ هذا حكمه عند الإمام أحمد وعند أهل الإسلام من أهل السنة والجماعة.

قوله: **(حتى يترحم عليهم جميعاً)** يعني: لا يكون سنياً سلفياً على الجادّة إلا أن يترحم على جميع أصحاب النبي ﷺ دون استثناء، وحتى يكون قلبه لهم سليماً نظيفاً؛ يحبهم ويتقرب إلى الله بحبهم؛ عندئذ يكون مسلماً سنياً سلفياً على الجادّة، وإلَّا؛ فلا.

قال المؤلف رحمه الله: **(والنِّفاقُ هُوَ الكُفْرُ؛ أَنْ يَكْفُرَ باللهِ وَيَعْبُدَ غَيْرَهُ، وَيُظْهِرَ الإِسْلامَ فِي العَلَانِيَةِ؛ مِثْلَ المُنَافِقِينَ الذينَ كانوا على عَهْدِ رَسولِ اللهِ ﷺ)**

النفاق قسمان؛ نفاق أكبر ونفاق أصغر.

النفاق الأكبر هو الذي ذكره المؤلف هنا؛ قال: (هو الكفر...)؛ الكفر بالله تبارك وتعالى.

حقيقة النفاق: أن تظهر الإسلام وتبطن الكفر؛ كما كان هذا موجوداً على عهد النبي ﷺ في المدينة، بعض الناس كانوا يظهرون الإسلام وحقيقتهم الكفر، وكبيرهم عبدالله ابن أبي بن سلول رأس المنافقين؛ هو في الحقيقة كافر؛ لكن كان يخاف السيف، يخاف العقوبة؛ فكان يظهر الإسلام هو ومن معه؛ هذا النفاق حصل في المدينة، لم يكن في المهاجرين منافق أبداً؛ لأن المهاجر ما كان يهاجر إلَّا لحفظ دينه وإيمانه؛ فما كان يدعوه إلى أن يظهر الإسلام ويبطن الكفر شيءٌ، فخرج المهاجرون لحفظ دينهم؛ لأنهم

مؤمنون؛ لكن النفاق كان في أهل المدينة؛ لأن أكثر أهل المدينة قد آمنوا من الأوس والخزرج، وصارت الشوكة للمسلمين، وكان بعض أهل المدينة لا يريدون الإسلام ولكنهم خافوا على أنفسهم، على أموالهم، على أولادهم؛ فأظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر؛ هذا معنى النفاق، وهذا ما كان حاصلاً موجوداً في عهد النبي ﷺ.

والنفاق الأكبر هذا هو الكفر؛ لذلك قال المؤلف: (والنفاق هو الكفر)، النفاق الأكبر هو الكفر الأكبر؛ لأنه في الحقيقة في الباطن هو كافر؛ وإن كان قد أظهر الإسلام.

قوله: **(أن يكفر بالله ويعبد غيره)**؛ هذا معنى الكفر، **(ويظهر الإسلام في العلانية)**؛ هذا هو المنافق؛ **(مثل المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ)**، وكحال كثير من الناس اليوم؛ يظهرون الإسلام؛ لكنهم في الحقيقة كفرة يعتقدون عقائد العلمانية والرافضة وما شابه وغيرهم، لكن لا يظهرون ذلك؛ إلَّا من قَدِرَ على إظهاره؛ فيظهره صراحةً.

وأما النفاق الأصغر؛ فكقول النبي ﷺ الآتي من كلام المؤلف.

قال: (وقولهُ ﷺ: "ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فيهِ؛ فَهُوَ مُنَافِقٌ"؛ هذا على التَّغْلِيظِ، نَرْوِيها كَما جَاءَتْ ولا نُفَسِّرُها، وقوله ﷺ: "لا تَرْجِعُوا بَعْدي كُفَّاراً ضُلَّالاً، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقابَ بَعْضٍ"، ومِثْلُ :" إذا الْتَقَى الْمُسْلِمانِ بِسَيْفَيْهِما؛ فَالقَاتِلُ والمَقْتُولُ في النَّارِ"، ومثلُ: "سِبَابُ المُسْلِمِ فُسوقٌ وقِتَالُهُ كُفْرٌ"، ومثل: "مَنْ قالَ لأخيهِ: يَا كَافِر؛ فَقَدْ بَاءَ بِها أَحَدُهُما"، ومثل: "كُفْرٌ بِاللهِ تَبَرُّؤٌ مِنْ نَسَبٍ وإنْ دَقَّ"؛ ونَحو هذه الأحَاديثِ مِمَّا قَدْ صَحَّ وحُفِظَ؛ فَإِنَّا نُسَلِّمُ لَها وإنْ لَمْ نَعْلَمْ تَفْسِيرَها، ولا نَتَكَلَّمُ فِيها، ولا نُجَادِلُ فيها، ولا نُفَسِّرُ هَذهِ الأحاديثَ؛ إلَّا مِثْلَ ما جَاءَتْ، لا نَرُدُّها إلَّا بِأَحَقَّ مِنْها)

قول النبي ﷺ: "ثلاث من كن فيه فهو منافق؛ إذا حدث كذب، وإذا اؤتمن خان، وإذا وعد أخلف"[1]، وحديث آخر بمعناه فيه رابعة[2]؛ هذا الكفر هو الكفر العملي، أيٌّ من هذه الخصال هي خصال يتصف بها المنافق، فمن اتصف بها؛ فقد شابه المنافقين؛ وهذا النفاق لا يخرج من الملة؛ هو نفاق أصغر؛ هذا قول من أقوال أهل العلم.

وقول آخر: نحن نمرها كما جاءت؛ نقول "ثلاث من كن فيه فهو منافق"، ثم نَعُدُّها ونسكت عن الباقي؛ هذا قول آخر للعلماء، وكذلك بقية الأحاديث؛ "لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض" متفق عليه[3]، و: "من قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما" متفق عليه[4]، و "سباب المسلم فسوق وقتاله كفر" متفق عليه[5]؛ هذا كله عند كثير من أهل العلم هو كفر دون كفر؛ كما ذكره الإمام البخاري عن ابن عباس وغيره؛ هو كفر دون كفر.

فالكفر كفران؛ كفر أكبر وكفر أصغر؛ هذا عند بعض أهل العلم من أهل السنة، والبعض الآخر قال كما قال هنا الإمام أحمد: نذكرها ونسكت؛ فقط.

١- أخرجه النسائي (٥٠٢٣) عن ابن مسعود رضي الله عنه. وقال الشيخ الألباني: صحيح الإسناد موقوف، وأخرجه الشيخان البخاري ومسلم عن أبي هريرة مرفوعاً بلفظ: " آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان "

٢- وهو في الصحيحين وغيرهما عن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أربع من كن فيه كان منافقا خالصا، ومن كانت فيه خلة منهن كانت فيه خلة من نفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا وعد أخلف، وإذا خاصم فجر ".

٣- البخاري (١٢١)، ومسلم (٦٥) عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه.

٤-البخاري (٦١٠٤)، ومسلم (٦٠) عن ابن عمر رضي الله عنه.

٥- البخاري (٤٨)، ومسلم (٦٤) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

لكن الأمر على ما ذكرنا، وهو الذي اشتهر عند أهل السنة؛ أن الكفر كفران: كفر أكبر مخرج من ملة الإسلام وصاحبه مخلد في النار إذا مات على ذلك، ومنه كفر أصغر لا يخرج من ملة الإسلام؛ يبقى صاحبه مسلماً، وإذا مات عليه لا يخلد في نار جهنم؛ هذا هو الصحيح؛ جاء أيضاً في كتاب الله تبارك وتعالى أنه وصف ولي المقتول بأنه أخ للقاتل {فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ} [البقرة: ١٧٨]، وقال: {فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ} [الحجرات: ١٠]؛ أي: المتقاتلان؛ إذاً سماهم إخوة، والأخوة هنا أخوة الدين؛ وهي المعتبرة في شريعة الإسلام؛ لذلك قال أهل العلم: الكفر كفران والنفاق نفاقان؛ نفاق أكبر ونفاق أصغر، وكفر أكبر وكفر أصغر؛ هذه عقيدة أهل السنة والجماعة، والأحاديث التي ذكرها المؤلف هنا على هذا المحمل؛ على الكفر الأصغر.

قال المؤلف رحمه الله: **(والجَنَّةُ والنَّارُ مَخْلوقَتَانِ قَدْ خُلِقَتا؛ كما جاءَ عَنْ الرسولِ ﷺ: "دَخَلْتُ الجَنَّةَ؛ فَرَأَيْتُ قَصْراً"، و "رَأيتُ الكَوْثَرَ"، و "اطَّلَعْتُ في الجَنَّةِ؛ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِها..." كذا، و "اطَّلَعْتُ في النَّارِ؛ فَرأيتُ كذا وكذا"، فَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُما لَمْ تُخْلَقَا؛ فَهُوَ مُكَذِّبٌ بِالْقُرْآنِ وأَحَادِيثِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلا أَحْسَبُهُ يُؤْمِنُ بالجَنَّةِ والنَّارِ)**

هذه عقيدة أهل السنة والجماعة؛ أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن، وأخبر النبي ﷺ كثيراً عن الجنة وما فيها وعن النار وما فيها، وقد رأى ما فيها ﷺ، وقال الله تبارك وتعالى في الجنة: {أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ} [آل عمران: ١٣٣]؛ فهي معدة وموجودة، أعدت؛ معدّة وجاهزة موجودة، وكذلك النار قال الله سبحانه وتعالى فيها: {فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ} [البقرة: ٢٤]؛ فهي معدة موجودة، وكما ذكر المؤلف؛ أحاديث كثيرة وردت عن النبي ﷺ في وجود الجنة والنار وأنهما مخلوقتان الآن؛ مثل: "دخلت الجنة فرأيت قصراً"، و "رأيت الكوثر"، و "اطلعت في النار" وغيرها، ولا ينكر ذلك إلا إنسان لا يؤمن حقيقة بكتاب الله

وبسنة رسول الله ﷺ؛ لذلك قال المؤلف: (فهو مكذب بالقرآن وحديث الرسول ﷺ ولا أحسبه يؤمن بالجنة والنار)؛ وهذا رَدٌّ على بعض المعتزلة ومن شابههم من أهل الضلال

قال المؤلف: **(وَمَنْ مَاتَ مِنْ أَهْلِ القِبْلَةِ مُوَحِّدَاً؛ يُصَلَّى عَلَيْهِ، وَيُسْتَغْفَرُ لَهُ، ولا يُحْجَبُ عَنْهُ الاسْتِغْفَارُ، ولا تُتْرَكُ الصَّلاةُ عَليهِ لِذَنْبٍ أَذْنَبَهُ- صَغِيرَاً كانَ أوْ كَبِيرَاً-، أَمْرُهُ إلى اللهِ تعالى)**

هذا هو الصحيح؛ من مات موحداً من أهل القبلة؛ يُغَسَّلُ ويُكَفن ويقبر في مقابر المسلمين ويصلى عليه ويستغفر له، ولا تترك الصلاة عليه لذنب أذنبه صغيراً كان أو كبيراً، نعم لأهل الخير والفضل المعروفين بالصلاح بين الناس أن يتركوا الصلاة على بعض من هو معلن بالفساد كشارب الخمر والزاني وفاعل الربا، مثل هؤلاء له أن يترك عليهم الصلاة من أجل زجر من هم على مثل حالهم، وكي يتعظ الناس ويعتبروا، أمَّا أن تترك الصلاة عليهم كلياً، من جميع الناس؛ فلا؛ لأنهم مؤمنون ماتوا على الإيمان، أما أهل الخير والفضل؛ فلهم أن يتركوا كما ترك النبي ﷺ الصلاة على من كان عليه دين، وقال: "صلوا على صاحبكم"[1]، الصلاة عليه لا بدَّ منها؛ لأنه مسلم مات على الإسلام فيما يظهر لنا، وقد أمرنا بالصلاة على المسلمين، وأهل العلم متفقون على أن الموحد يُصلى عليه. والله أعلم.

وبهذا نكون قد انتهينا من شرح هذا الكتاب بفضل الله تبارك وتعالى ومنه وكرمه، فالحمد لله.

١- البخاري (٢٢٩٨) ، ومسلم (١٦١٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه.